العائـــد

مســـرحيـــة

علي محمد سعيد

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

موسوعة توثيق إرهاب القاعدة وداعش في العراق

٢٠٠٣م - ٢٠١٧م

الاشراف العام:

اللجنة العليا لموسوعة توثيق ارهاب القاعدة وداعش في العراق

مركز بيِّنَة للأمن الفكري والثقافي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

( )

البريد الالكتروني :

www.baina.com

العراق:كربلاء المقدسة

الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ- ٢٠٢٣ م

حقوق النشر محفوظة للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

التصميم والإخراج الفني :

م. زهير الجبوري

العائد

مسرحية

علي محمد سعيد

الشخصيات بحسب الأدوار :

- الفتى عمار
- نقيب زهير: آمر فوج الحشد
- سالم العِماري
- قيس البصري
- عماد السماوي
- الحاج علوان
- نائب ضابط حبيب
- جاسم نعمة
- ملازم عبد الله
- ملازم غضنفر
- المرأة وطفلها
- مجموعات مسلحة من رجال الحشد الشعبي

الأصوات:

- صوت حوراء: زوجة نقيب زهير
- أصوات دواعش

مفتتح

الستارة مغلقة، الظلام يخيم على المكان، تدخل ام سالم (امرأة في نهاية الخمسينات، نحيفة ترتدي ثوبا اسود وشالا اسود تغطي به رأسها)، وهي تحمل شمعة وصورة كبيرة للإمام علي (عليه السلام)، الضوء الخافت ينير وجهها الحزين والطيب، تضع الشمعة على الأرض وتسند الصورة الى حائط صالة المسرح، تنظر الى الصورة ويبدأ صوتها بالارتفاع قليلا

ام سالم: يا منجي يوسف من بئر إخوته الغادرين، نجي ولدي من بنادقهم الغادرة.

أعدْهُ سالما لنخلة الحديقة وسدرة البيت

يا الله، هذا حبيبك جاءك طالبا الشهادة

فلا تنوله إياها يا الله، فما زال صغيرا

على جمر الرصاص، أعدْهُ لنا فأن قلوبنا

بعده ستذبل، وعيوننا ستبيض كمدا، أعدْهُ

لي يا الله.. أعدْهُ لي

من جهة المسرح التي خرجت منها ام سالم يتقدم الحاج أبو سالم (شيخ بهي الوجه في الستينات من العمر، يرتدي ثوبا ابيضا وطاقية بيضاء) ، يتقدم الحاج حيث تجلس ام سالم، يحمل بيده كيسا، يقترب من ام سالم ويفتح الكيس وُيخرج منه قميصا عسكريا عليه آثار غبار ودماء، يمدُّ أبو سالم يده ويضع القميص في يد ام سالم

أبو سالم: لن يعود...
ام سالم: سيعود ...
أبو سالم: آن لكِ ان تستريحي، هذا الصبر الطويل سيقتلك كمدا، هذا قميص سالم عطري روحك بطيبه، تنفسيه حتى يشتعلَ القلب وتعودَ الروح سيرتها الأولى.
تنهض ام سالم من مكانها، تشير الى صورة الامام علي عليه السلام، وتنظر نحو ابي سالم
ام سالم: سيعود ولدي... ما بالكم لا تصدقوني؟ سيعود... أراه واقفا قرب نخلة البيت ضاحكا.
أبو سالم: مضت شهور على غيابه، كل الذين عادوا قالوا انه ذهب باتجاه النهر ولم يعد بعدها، لا أحد شاهده او سمع عنه شيئا، إذا لم يبتلعه النهر، فأن الذين غدروا بزملائه في سبايكر قد نالوا منه حتما.
ام سالم: سيعود ... ولدي سيعود
أبو سالم: من أين لكِ هذا اليقين، ليتكِ تخبريني فيهدأ قلبي وتسكن روحي العليلة.
ام سالم: سيعود ... ويعيش حتى يقفَ على قبري!
تحمل ام سالم الشمعة وصورة الامام علي عليه السلام وتذهب باتجاه الغرفة التي جاءت منها.. يحل الظلام في المكان.

الفصل الأول

يفتح الستار

المنظر يدل على أرض صحراوية.. مقدّمة الارض المحاذية للجمهور خالية من أفراد الحشد، وأمّا وسطها وما بعد ذلك حتى العمق من جهة الشمال فيظهر جنود الحشد وفي حجورهم بنادقهم، يجلسون بشكل مجموعات في ظل سدة ترابية عالية تمنحهم ظلها وتمنع عنهم رصاص داعش، يبدون شادين رؤوسهم بشرائط خضر وسود كُتب واجهاتها «يازهراء» و«ياحسين» ويقف نائب ضابط حبيب (في الاربعينات من العمر، اسمر الوجه بملامح ريفية، لحيته مبعثرة وملابسه العسكرية مغبرة بسبب المعارك) يتحدث إليهم ملوّحا بيديه بحركات حماسية، ويظهر نقيب زهير (في الاربعينات من العمر، وسيم بشارب كث ولحية بالكاد تظهر، يرتدي نظارة طبية، ويحمل مصحفا جلديا دائما بيده) ينظر النقيب الى جهة العدو بمنظاره العسكري من فوق تلة مغروسة عند طرفها سارية اعلام ورايات مختلفة من المجاهدين، ثم يهبط من المرتفع ويأتي إلى المجموعات فيتوقف نائب ضابط حبيب عن الحديث للجنود، يتمشى النقيب بينهم ممسكا ناظوره العسكري بيديه إلى ظهره، يمازح هؤلاء وأولئك من دون أن يُسمَعُ الكلام،

والمقاتلين يجيبون بضحكات وابتسامات وكلمات تنطقها شفاههم ولا يسمعها المشاهد.

يتركهم ويأتي إلى مقدمة المسرح، ويعود نائب ضابط حبيب للتحدث والتلويح الحماسي إليهم، والنقيب يتمشى بذات الهيئة السابقة حتى يبلغ أقصى شمال المسرح، وهنا تسقط فاختة قرب إحدى المجموعات فيقوم إليها أحدهم ويبدو أصغر عمرا من جميع الموجودين اسمه عمار (فتى في السابعة عشر من العمر، وسيم، وعليه علامات الطيبة، يرتدي بدلة عسكرية) يحملها بيديه ويتفحص عينيها ومنقارها.

عمار:الظمأ أسقطها.

يعود إلى محله ثم يقوم بسقيها من ماء زمزميته بحوض راحته.

يعود النقيب زهير ماسكا منظاره إلى الخلف وعيناه إلى الجندي الساقي الحمامة، حتى يبلغ اقصى اليمين فيتوقف متفكرا ويهتف مناديا نائب ضابط حبيب

النقيب: نائب ضابط حبيب

يأتي نائب ضابط حبيب ويؤدي تحية مصغرة ويمشي الاثنان نحو الطرف الشمالي

النقيب: كنت طلبت منك أن تتبين أمر عمار.

يأخذ نائب ضابط حبيب يتلجلج شيئا بين نعم ولا ثم ينتبه إلى نفسه والنقيب ينظر اليه باستغراب واستنكار، ثم يتشجع حبيب ويوطن نفسه على البوح.

حبيب: سيدي.. الحقيقة كما توقعتها أنت إنه لم يبلغ السابعة عشرة حتى

ولكن..

(مازالت عينا النقيب تعربان عن الاستغراب والاستنكار بينما حبيب يتحدث)

النقيب: ولكن ماذا؟ هل تحدثت معه؟

حبيب: تحدثت معه لكني لم أعرف هذا منه

النقيب: وممّن إذن؟

حبيب: من جاره فهو في فوجنا أيضا ،إنه جاسم.

النقيب: جاسم نعمة؟

حبيب: نعم سيدي، لكنه أخذ عليّ عهدا ألاَّ أذكر.

هذا الأمر لك أو لغيرك سيدي! لأن

ذلك سيغيظ عمار.

النقيب: وكيف اجتاز مكتب التسجيل؟

حبيب (بابتسامة): بهوية مزورة

النقيب: يالله ، حبيب، فوجنا سَيَدْهَمُ العدو

كيف ترتضي لنفسك إقحام هذا الفتى في هذه المعركة، كيف لم تخبرني لأمنعه أو أطلب على أقل تقدير تنسيبه إلى فوج من الأفواج الساندة؟

حبيب: لا أعرف سيدي.. كيف أقنعني بمطاوعته، أقسم لك لا أعرف، الغريب أنه فرح أيّما فرح عندما قلت له نحن على

أعتاب الهجوم، والأغرب أنه بكى فرحا حينما قلت له إنّ مهمتنا تحرير سبايكر

النقيب:ولِمَ سبايكر تحديدا؟

حبيب: رفضَ الإجابة

يصمت الاثنان ويبدو النقيب متفكرا ثم ينظر لحبيب:

النقيب:ناده لي

يأدي حبيب التحية ويمضى نحو عمار،يشير له باتجاه النقيب فيتقدم عمار منه، بينما يبقى حبيب منشغلا مع بقية الجنود، يقبل عمار الذي كان يسقي الفاختة بعدما أعارها لصاحبه ..يأدي التحية فيرمقه النقيب بنظرة غير مفهومة

النقيب: عمار ماالذي تريده؟

يصمت عمار في جوابه ثم بصوت خافت وواثق من نفسه

عمار: الذي تريده أنت سيدي وهؤلاء المقاتلون

النقيب: وهل يمكنك إخباري ما الذي أريده

أنا وهؤلاء المقاتلون؟

عمار: تحرير أرضنا

النقيب: مَن أنبأك أن الأرض تدعوك وتدعونا لتحريرها؟

عمار: النداء

النقيب: النداء؟

عمار: نداء الإمام السيستاني،فتوى الدفاع الكفائي

النقيب: وهل تحفظ شيئا من النداء؟

عمار:نعم.. أحفظ أشياء عن ظهر قلب

النقيب: ماتحفظ

عمار: المطلوب أن يحث الأبُّ ابنه والأمُّ ابنها والزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعاً عن حرمات هذا البلد ومواطنيه.

ينظر النقيب بعين الإكبار والتعجب للروح المملوءة عنفوانا وشجاعة ،لكنه يعمد إلى إخفاء ذلك وعدم الجهر به حتى لايزيد

من اندفاع عمار وحماسته الفائقة لعمره، يستدير بوجهه عنه ويحدثه ويحاول إخفاء ملامحه التي تأثرت بعمار.

النقيب: عمار ياولدي، أنا بمقام والدك وأنا أُكبِر وأُجِلّ هذه الروح الرجولية، وهذا الشعور الحماسي..أي نعم فتوى الدفاع المقدس تحتاجك ..الأرض تحتاجك، الماء والهواء والقباب والناس كلها تحتاجك عند النوائب والنوازل، ولكن احتياجها يتحدد بحسب كلَّ مرحلة من مراحل عمرك،ففي مرحلة الطفولة تحتاجك لتبصر فيك أملها المتجدد، ومرحلة الفتوة تحتاجك لتكون قريبا منها متهيئا لمسك زمام الأمور عمّن هم يخوضون غمار الذود عنها، وأنت الآن كما أرى في مرحلة الفتوة،وإذن فهي تحتاجك لتكون قريبا منها تستقي من بطولات رجالها وتتدرب على فنون قتالهم وتتغذى من زاد صلابتهم وشكيمتهم لتتسلم بعدئذٍ زمام الصولات والجولات عنهم ..

يقترب النقيب من عمار، يضع يده على كتفه ويضغط عليها بقوة.

النقيب:لاتكفي ياعمار الروح الشجاعة والحماسة النابضة

بأقصى درجات وتيرتها لديك، ولاتكفي الرغبة الصادقة البادية على محياك قبل كلامك.. نحن ياولدي في زمن الصواريخ والمفخخات والقذائف، وهذه الأشياء يلزمها رجال أشداء عَركَتْهم الحياة وعَرَكُوها، وأنت لم تزل دون هذا المقياس من البوصلة، وعليه سأكتب إلى مقر اللواء من أجل تنسيبك إلى فوج الإسناد، وليس إلغاء مشاركتك فمشاركة أمثالك تعني الشيء الكثير لحشدنا،فما رأيك؟ واعلم أن واجبي يحتم عليّ أن أشرع بتنفيذ هذا الأمر دون أخذ رأيك،فأنت في نظري ونظر القانون دون العمر المناسب لتكون بيننا، ولكنّي أكبرت فيك حبك الكبير لوطنك وشعورك الممزوج بترابه وضميرك الملبّي لنداء المرجعية وفتواها الجهادية، هل نحن متفقان ؟ أريد إمضاء الأمر على نحو توافقي بيني وبينك، وليس غير ذلك؟

ينظر له عمار بعينين مغرورقتين:

عمار:أريد البقاء.

ينزعج النقيب من إصرار عمار، تتبدل ملامحه الى عدم الرضا.

النقيب:إذهب ...

يأدي عمار التحية العسكرية وينصرف نحو تجمع الجنود الآخرين، بينما يخطو النقيب وهو يفكر بالأمر، يعود النقيب يخطو متفكرا ثم ينادى على جاسم الذي يأتيه مهرولا، يأدي التحية العسكرية.

النقيب: جاسم أنت تسكن في محلة عمار أليس كذلك؟

جاسم: بيته سادس بيت عن بيتنا سيدي.

النقيب:أخبرني كلَّ ما تعرفه عنه وعن أسرته؟

جاسم:إنه الابن الثاني لأمه وأبيه.

النقيب:أكمل..

جاسم:أسرته هي والداه وأخوه الأكبر سالم.

النقيب:أليس له أخوة أو أخوات غير أخيه الأكبر؟

جاسم:حسب علمي ليس له غيرُهُ.

النقيب:ماعمل أبيه؟

جاسم:مدرس،كان يدرسني مادة التأريخ، وبالمناسبة

والدته أيضا مدرسة درستني الإسلامية.

النقيب:ماشاء الله، وأخوه الذي يكبره؟

جاسم: مابه سيدي؟

النقيب:ماعمله.

جاسم: إنه (يتلجلج)

النقيب: إنه ماذا؟

جاسم: عمار سيزعل اذا اخبرتك بأمر أخيه هنا.

النقيب: ماذا، عليك أن تذكره لي! أريد أن أعرف كلَّ شيء عنه لاستدراك حياته أفهمت؟

ينظر جاسم الى عمار الجالس مع بقية المقاتلين ثم يعاود النظر الى النقيب بنظرة استسلام.

جاسم: سيدي ..أخوه ذهب مع مَن ذهب من منتسبي سبايكر.

النقيب: ماذا! هذا المجنون يريد أن يلحقه يريد أن يفجع

والديه به أيضا..

يضرب النقيب: كفيه وينظر نحو عمار.

النقيب:أيُّ قلب في صدرك وأيُّ عقل في رأسك ياعمار اذهب وناده.

يذهب جاسم بعد أدائه التحية ويأتي عمار مهرولا يأدي التحية للنقيب.

النقيب: عرفتُ بأمر أخيك.

يدير عمار عينيه بنظرة استنكار إلى جهة جاسم.

النقيب:أنا أجبرته على التكلم.

يعاود عمار النظر بعينيه الى النقيب.

عمار: وإذن بماذا تأمرني سيدي؟

النقيب: كيف هان عليك والداك؟ والله ورسوله وأهل بيته جميعا طلبوا منّا أن نبذل غالينا ونفيسنا لرضاهم وإسعادهم، أتريد مرضاة الله بكسر قلبيهما، أهكذا تعلمت؟

عمار: ومن قال إنهما هانا عليّ سيدي؟

النقيب: وكيف لم يهونا وأنت تريد أن تفجعهما بك بعد أن فُجعا بالبِكر!

عمار: ومن قال إنهما فجعا بأخي البكر سيدي؟

ينظر النقيب باستغراب لكلام عمار.

النقيب:أليس هو من المأسورين المذبوحين من منتسبي سبايكر؟

عمار: نعم، كان هو من بين المأسورين من معسكر سبايكر لكنه لم يقتل.

النقيب:هل اتصل بكم هاتفيا؟

عمار: كلا

النقيب: بريديا؟

عمار: كلا

النقيب: إذن ..كيف علمتم إنه لم يمت؟

عمار: أمي تعلم..

النقيب: أمك؟ وماذا عن أبيك؟

عمار:أبي لبس السواد عليه وأقام المأتم له واستقبل المعزين به واستسلم للحزن الذي مازال يأبى مفارقته، لكنه غير ممانع لقناعة أمي القاطعة بأنه حيٌ يرزق..

النقيب: حيٌ يرزق في الدار الآخرة؟

عمار: بل في هذه الدار..إنّ أبي ليأنس وتطمئن روحه عندما يراها تذكره وتستحضر حكاياته، ذكر المتوقع لقدومه واستحضار المرجّح لرؤياه في أيَّ ساعة وأيَّ لحظة.

النقيب: وماالذي جعل أمك تقطع ببقائه حيا؟

عمار: الحلم.

النقيب: الحلم؟

عمار: حلم أمي

النقيب: ها بدأتُ أهبط بالحكم على تفكيرك، وكنت قبلا

أغبطك عليه كلَّ الغبطة، أصرنا نحكم على الأمور من منظور الأحلام ياعمار؟

عمار: حلم أمي ليس مثل كلّ الأحلام.

النقيب:ومايفرّقه؟

عمار: يفرّقه أنه ينتمي إلى فطرتها تلك التي بقيت متصلة بأغصان طفولتها حتى وهي في عقدها الخمسيني.

النقيب: وهل محافظتها على فطرتها الطفولية يجعلها ترى الخوارق؟

عمار: لا أفهم ماقلت.. لكني أؤمن أن أمي ترى الحقائق في أحلامها.

النقيب: وماذا رأت في أخيك لتجزم ببقائه حيا؟

عمار:الذي رأته يشمله ويشملني

النقيب: وماذاك الذي يشملك وأخاك؟

عمار: قالت لنا ذات مساء وكان سالم ساعتها يضع أغراضه

ولوازمه في حقيبته تهيؤا للذهاب، ذهابه الأول والأخير برفقة أصحابه إلى قيادة قوات صلاح الدين، قالت: «جاءتني الزهرة بنت النبي بالطيف، وأخبرتني أنّ ولديكِ سيعيشان طويلا ويدركان وفاتك»

النقيب:أهذا كلُّ شيء؟

عمار: نعم..

النقيب:هل في ذاكرتك شيء يدعم رؤياها الصادقة؟

عمار: ذات مرة قالت لخالي الساكن في بغداد بمدينة الصدر تحديداً وكان يذهب صباح كل يوم الى «مصطر» ساحة الطيران طلبا للعمل مع عمال البناء، قالت له لا تذهب فقد رأيت انك تطير مع لهب عظيم يصعد من الرصيف حيث تجلس بانتظار العمل... وكان خالي لايؤمن بما تراه أمي في أحلامها كلّ الإيمان، لكنه طاوعها في ذلك اليوم احتياطا واستسلاما للخوف فلم يذهب ..وحدث ذاك اليوم التفجير الإرهابي الكبير في ذلك المصطر وحصد العشرات من العمال والبنائين وغيرهم من أصحاب المحال والباعة المتجولين..

(ينظر عمار الى الفاختة التي أبقاها مع صاحبه ويعود لإكمال حديثه)

عمار: وعندما كنت في الخامسة، كنت أحبّ تأمل أسراب الإوز المسافرة مع تغيّر المواسم ..كنتُ أقضي ساعات قبل النوم متوسلا القدر أن يُركبني ظهر إحداها كما يفعل «نيلز» مع صديقاته الإوزّات.. ولم أخبر أيّ أحد بأمنياتي وتوسلاتي تلك، حتى سالم الذي كنت أبوح له بكلَّ ما أحب وماأكره..ومازلت على ذلك أياما وأشهرا حتى جاءت ليلة رأيت فيها مايرى النائم..رأيت أمي تقف بجنبي تنظر لي بعينين مشفقتين ودودتين وأنا واقف على سطحنا متأملا بعينيّ سرب الإوز الذي جاء يرفرف وئيدا من عمق السماء فقالت لي: أتريد ركوب إحداها حقا؟

فقلت لها راغبا بمزاحها: نعم مثل نيلز..هل تعرفين نيلز؟

قالت: أنا لاأعرف نيلز هذا، ولكن سأطلب من إحداها أن تأتيَ وتأخذَك على ظهرها مع سربها، فضحكتُ أنا لمزاحها المتصاعد وقلت اطلبي إوزّتين واحدة لي وواحدة لك؛ فقالت: أنا أخشى المرتفعات كما تعلم.. فقلتُ مأخوذا بتيّار المزاح: أنا لا

أخشاها فاطلبيها..

فصاحت: أيتها الإوزات فلتأتِ إلى ولدي الحبيب عمار إحداكنَ ولتَطِرْ به كما تطيرُ بنننني، فقلتُ لها أنا (نيلز) فقالت فلتطِرْ به كما تطير بنيلز.

وما إن أكملت جملتها حتى انفردت إحداهن هابطة إلينا واستقرت عند قدمَي أمّي التي حملتني وأجلستني على ظهرها وقالت لها: اعتني بولدي كما اعتنيت بنننني فقلتُ (نيلز) فقالت (نيلز) وعودي به عندما يطلب منك ذلك.. فأومأت الإوزة برأسها بكل أدب كأنها في حضرة ملكة، وطارت بي وأنا أشدّ بيدي على ريش ظهرها، والسماوات لاتسعني من الفرح.. وهكذا صعدتُ أدراج السماء ملوّحا لأمّي وأمّي تلوّح لي فرِحة، ثم انضمّت إوزتي إلى السرب وأخذت تعرّفني بأسماء رفيقاتها وقريباتها، بعدها أخذتُ أنظر إلى المنازل والشوارع والمزارع فأمثّلها بالنقاط الخضر والترابية والفحمية والقمحية وغيرها من الألوان، وقلبي يهتف بكلّ صوته:

شكرا لك ياأمي أنكِ حققت أمنيتي..

وأيقظني سالم من رحلة حلمي الساحرة وقال لي بعد أن استيقظت:

كنتَ تضحك ملء حلقك كالمجنون، فقلت له: آهٍ لو تعلم أين كنت.

فقالت أمي التي دخلت علينا لتنظف الغرفة وتأخذ أفرشتنا لتنشرها على جدار السطح للتشميس:

لقد عرفتَ أسماء صويحباتها ولم تعرف اسمها كان ماقالته مما لايعقل ..إنها كانت مشتركة معي في حلمي. ربّما لم يكن حلما.. ربما حقيقة أو جوهر الحقيقة.. وإلا فكيف عَرَفتْ أنّي عرفتُ أسماء إوزات السرب جميعا ماعدا أوزتي التي كنت راكبا ظهرها..

يخيم الصمت على النقيب الذي يستمع بشغف، يقاطع عمار ويسأله.

النقيب: وسالم ، هل بلغكم أيُّ شيء عنه من غير الحلم؟

عمار: نعم، في محلتنا المجاورة نجا شاب بأعجوبة من أيادي الدواعش وكان من منتسبي معسكر سبايكر وهو ممّن رافق أخي

ذلك اليوم إلى صلاح الدين.. ذهب إلى داره والدي وسأله عمّا جرى لهم فقال لوالدي:

بعد يومين من وصولنا إلى قيادة قوات صلاح الدين نُقلنا إلى معسكر سبايكر وذلك بسبب انتشار حالة من الهلع والفزع الأمني والفوضى غير الطبيعية داخل القيادة، وعند دخولنا المعسكر وجدنا المئات من المنتسبين هناك فارتاحت نفوسنا شيئا، ولكن مازالت حالة التوجس والقلق موجودة لدى الضباط وخاصة الضابط المشرف علينا من أن يقتحم المعسكر الدواعش، وأغلبنا غير مهيأ للقتال لأننا عُزّل، والمشجب لم يكن فيه من الأسلحة مايكفي لعُشر عددنا، كنا ننتظر ماتتمخض عنه مباحثات الضباط مع الآمر، ولانعرف شيئا عمّا يدور أو سيدور حولنا، بعدها جاءنا الضابط المشرف علينا وقال لنا ارتأينا استقدام طائرات لنقلكم الى أقرب موقع آمن لتذهبوا مجازين إلى بيوتكم لعشرة أيام ثم تلتحقوا الى معسكر التاجي، حتى نعدّ العدة ونسلحكم بالسلاح الكافي ونبدأ معركتنا الحقيقية معهم، لكن أمر الطائرات ليس بالإمكان تحققه فأقترحُ عليكم أن تذهبوا من دونها واطمئنوا فجميع الأهالي والعشائر معكم لاتخشوا شيئا، فما كان من عامة

المنتسبين بعد حصولهم على كتب اجازاتهم إلا أن اتجهوا الى باب الخروج بعضهم بسياراتهم الخاصة قاصدين محافظاتهم، وبعضهم مشيا على الأقدام قاصدين الشارع الرئيسي ليستلقوا سيارات توصلهم إلى مرأب النقل الى المحافظات، وهناك بدا الواقع مختلفا كلّ الاختلاف عما كنا نتوقعه، صرنا نرى سيارات حوضية فيها رجال مدججون بالسلاح وملثمون يتخطفوننا ولانعرف من هم، ثم أخذت تستوقف مجموعاتِنا سيطرةٌ بدت أكبر من كل السيطرات التي كنت رأيتها، وبدا رجالها ملثمين ومسلحين بأسلحة مختلفة، راحوا يحجزون الجميع، الراكبين بالسيارات والماشين على أقدامهم، وكنت أنا متأخرا في الخروج عنهم لذا تكشفّ لي الأمر قبل أن اقع بأيديهم ورأيت «سالم» يساق هو ومجموعة كبيرة من الجنود الى مكان ما وبنادق الدواعش تحيط بهم، وتخلّلَ المشهد أهازيج وهتافات وتكبيرات مشجّعة لما يصنعه الدواعش فينا، قادمة من أفواه رجال ونساء وصبيان من أهالي تلك المناطق وعشائرها تساير خطى المأسورين الذاهبين إلى حتفهم..

كانت الحقيقة مختلفة كلياً عمّا قاله الضابط لنا بخصوص

الأهالي والعشائر فليس كلّ العشائر متعاطفة معنا وتريد سلامنا، وليست كلّ الأهالي تنظر لنا كأولادهم!

على أية حال تراجعت بسيارتي وسلكت طريقا آخر كان أحد أصدقائي من سكنة تلك المناطق قد دلني عليه ذات مرة، وكان صديقي ذاك منتسبا أيضا لكنه يأتي إلى المعسكر ويغادره بملابس مدنية وبتمويه تام حتى لاينكشف أمره، فالذي يشتغل مع الجيش من أبناء تلك المناطق في نظر داعش يستحق عشر قتلات لاقتلة واحدة.

وحين ذاك تخلصت من كل مستمسكاتي الوثائقية وهاتفي الخلوي أيضا بعد أن اتصلت بصاحبي ذاك وأخبرته أني إن وقعت في أيديهم سأبلغهم أني من عشيرته وسأعطيهم رقمه ليتأكدوا من كلامي، فأيد كلامي، وهذا الأمر شجعني على المرور من سيطراتهم بشيء من الثقة والإقدام، واستطعت المرور من سيطرتين، دون تحقيق أو استعلام، لكن السيطرة الثالثة سألتني عن سكني وعشيرتي بعد أن أثار شكوكها أمر فقدان وثائقي التعريفية وهاتفي الخلوي فأخبرتهم أني من عشيرة صاحبي

الساكن هناك وأعطيتهم رقم هاتفه ليتأكدوا منه وأجروا بالفعل الاتصال معه فأيد كلامي بتفصيل زائد ومعلومات إضافية تخص عشيرته حتى تحصّلَ لدى عناصر السيطرة الاطمئنان فأجازوا عبوري بسياراتي.

تغرق عينا النقيب الودودتين في وجه عمار، يقترب من عمار وبصوت أبوي.

النقيب:أعجزتني ياولد..اذهب.. اذهب.

يأدّي عمار التحية ويذهب إلى محله ويجلس ليتناول الفاختة من صاحبه ويأخذ يمسد ظهرها، بينما هو كذلك ينادي النقيب زهير على نائب ضابط حبيب الذي يأتي مسرعا.

النقيب: احرص على حمايته من نفسه قبل الدواعش.. اجتهد معي لنرجعه إلى والديه.

حبيب: حسنا سيدي.

يرن هاتف نقيب زهير، يشير الى نائب ضابط حبيب بالانصراف، يفتح سماعات الموبايل الخارجية ويجيب على

الاتصال.

النقيب: نعم،حوراء ماذا قال الدكتور؟

صوت حوراء: يقول يجب إجراء عملية جراحية حالا.

النقيب: ماذا ..كيف، إنه مغص ليس غير.

صوت حوراء:الأشعة والتحاليل أظهرت ورما (تبكي).

النقيب: ماذا ورم.

صوت حوراء:لا أعرف ما أعمل يازهير ..(تبكي) أخبرني ماذا أفعل.

يتسمّر نقيب زهير في مكانه واجما صامتا ومازال الموبايل على أذنه وأخذت عيناه تغرورقان وراح يمسح مانزل منهما على وجنتيه براحة كفه، يتقدم حبيب منه الذي يبدو انه سمع الاتصال.

بادره حبيب: سيدي ابنك محتاجٌ لك ..ملازم عبد الله وملازم غضنفر يمكنهم إنجاز المهمة عوضا عنك..

يهز نقيب زهير وجهه رافضا ويعود لإكمال الاتصال مع زوجته حوراء.

النقيب: لتكن ثقتك بالله كبيرة ياحبيبتي، ليس أمامنا إلا الإذعان والقبول بما يقرره الدكتور، فليجرِ العملية ولا تقلقي ..إن ابننا في عين الله، تعلمين أن ظرفي لا يسمح لي بالمجيء.. سأكتفي ومن معي بالدعاء له ولك أيتها الحبيبة الغالية.. استودعك الله.

يقفل الخط ويمضي بعينيه سارحا متفكرا، ثم يتناهى الى الموقع صوت مدرعات ومدافع ولغط جنود قادمة من خلف المسرح..

حبيب: سيدي ها قد أتوا، وصلت قوات الجيش.

يتسنم زهير التلة وينظر بالناظور ماسحا جهة العدو، وحبيب يذهب الى المجموعات ويحدثهم بكلام لا يسمع بأداء حماسي فنهض الحشديون واصطفوا صفين نظاميين ونزل النقيب وأقبل إليهم ليخاطبهم من دون أن يسمع كلامه، ثم يهتف مخاطبهم حماسياً:

- أشبال الكرار
- نعم سيدي
- متى نعود ؟
- عندما يبيدهم بأسنا عن آخرهم.
- ماهتاف المواجهة؟
- لبيك ياحسين
- ماصيحة النصر؟
- لبيك يازهراء.

يعزف نشيد الحشد، وبعد الانتهاء يستمر تكرار البيت الأخير من النشيد بينما يخرج النقيب زهير ويتبعه نائب ضابط حبيب وبقية الجنود للاتحاد مع قوات الجيش من أجل بدء الهجوم، وقبل خروج عمار يطلق الفاختة لتحلق وتمضي في الفضاء .

(ستار)

المشهد الثاني

غرفة مستطيلة الشكل طولها خمسة أمتار وعرضها متر وعشرون سنتمترا تشبه السرداب مفصولة عن غرفة بكنتور كبير حدود طوله ذاتها حدود طول الغرفة. واجهة الغريفة المقابلة للجمهور ظَهْرُ الكنتور الخشبي ممتدٌ على عرض المسرح، ووسط الواجهة الخشبية فتحة مسدودة بلوح خشبي «فايبرة» تتسع -إذا ماأزيل اللوح- لمرور شخص.. وفي نهاية طرف الغرفة الشمالي بطانية متهرئة معلّقة من طرفيها وبجانب طرفها العلوي فتحة صغيرة مربعة مموّهة من خارجها بقماشة شبكية بالية، وفي جانب الغرفة الأيمن كارتونة فيها ملابس ومعلّقة على حائطها مرآة مربعة ذهبَ نصفها، وجنبها لوحة بقلم الرصاص لابن يركض لمعانقة أمه وتحتهما معلّق فانوس قديم، وعلى الأرض من جهة اليمين يجلس القرفصاء قيس البصريّ (شاب نحيف في العشرينات من العمر، شعره قصير وقد نبتت لحيته بشكل غير متساوٍ) يسرح في التفكير وبجنبه مجموعة كتب، وبالقرب منه عماد السماويّ (شاب في العشرينات، اسمر ذو أنف بارز بملامح ريفية) الذي بدى كتفه مشدودة بضمادة وقماشة طبية بيضاء، ينشغل بالرسم على ورقة دفتر رسم مدرسي.

يسمع قيس وعماد حركة على فايبرة الكنتور الوسطية، فيحملقا إزاءها..

قيس: ليس من عادة الحاج أن يأتينا في هذا الوقت .

ينهض عماد من مكانه ويتبع قيس وينظر بتوجس وخيفة، فجأة يدخل الحاج علوان (شيخ من أهالي صلاح الدين، ذو لحية كثيفة، يتثاقل في حركته) ينظر لهما

الحاج: لا تقلقا... جاءكما رفيق.

يلوّح الحاج لسالم بالدخول، فيدخل سالم (شاب في العشرينات، وسيم، مصاب في قدمه، يلبس ثوبا رصاصيا ولافاً على رأسه كوفيّة مشبكة باللونين الأبيض والأحمر، ويحفظ قدميه نعل بلاستيكي).. يسلّم على قيس وعماد فيردّا عليه السلام، يهتف الحاج إلى حفيدته.

الحاج:أغلقيها بُنيتي.

تغلق الفتاة الصغيرة الفتحة باللوح من الخارج، ويعود الحاج بوجهه الى قيس وعماد ليقول لهما بكلمات مسرعة كأنه يريد

الذهاب، ووجه مفعم بالبشر والابتسام

الحاج: هذا سالم، إنه هارب مثلكما.. سيخفّف من وحشتكما وتخففان من وحشته.. (وبنظرة حكيم) الأشخاص الثلاثة في تزجية الساعات والأيام خير من الاثنين أليس كذلك..سأذهب وأترككم لتتعارفوا وآتيكم بعد حوالي ساعة؟

يمضى الحاج الى «الفايبرة» الوسطية يدفعها ويخرج ويعيدها إلى مكانها ليغلقها.. يشير عماد الى سالم وقيس أن يجلسوا فيجلس الثلاثة ..

قيس: من أين سالم؟

سالم: من العمارة

قيس: ها ماشاء الله..العمارة والبصرة والسماوة اجتمعت هنا، محدّثك قيس بصري (ينظر الى عماد) ورسامنا عماد سماوي.

ينظر سالم متأمّلا في اللوحة الجدارية ويلتفت الى عماد)

سالم:أأنت رسمتها ؟

عماد: أعجبتك؟

سالم: نعم

تعلو وجه قيس ابتسامة صادقة، يقترب من سالم.

قيس: يالله، بدأت روح الكلام تدبّ في هذا السرداب الصفيق، هل تصدّق أنّي غير كلمات التعارف الأولى -مع عماد- لم أتحدث إليه أو يتحدث هو إليّ . مرّت أيام ونحن في صمت متصل، كان هو إمّا لائذا بسرحانه وجموده، أو مشغّلا يديه وعقله وخياله بإحدى رسوماته، وأنا إمّا مقرفصا مستسلما لتوجسي وخوفي أو غائصا في المطالعة، وإنّي لأجزم أننا لو بقينا على هذه الحالة الصامتة ليوم آخر سننسى الكلام وحروفه، ولانتهينا لقمة سائغة في فم الجنون.. أما الآن وبعد قدومك إلينا فأرى أنّ قلب هذه الغرفة بدأ ينبض بدقات الحياة وأحاديثها الطاردة للهم والتعاسة. (يداور نظره بين عماد وسالم) ما رأيكم في أن يحكي كلُّ واحد منا ما جرى له وكيف انتهى إلى هذه السرداب.. أرى أنها أفضل السبل التي تجعلنا نتكلم ونتكلم، وكذلك تمنحنا سلطة تجاهل هذا الوقت البليد، الا تتفقون معي؟

سالم: اتفق

عماد: حسنا

قيس: اسمحوا لي إذن أن أبدأ بحكايتي فلدي مزاج عالٍ وتوقٌ ساخن للتكلم هل تسمحون لي؟

الاثنان: تفضل.

يتنهد قيس تنهيدة طويلة.

قيس: كان لي صديق من محافظة صلاح الدين أو لأقل إنه الأقرب لي ممن صادقت وصاحبت، كان مرحا يتفنن صنع النكتة، يعشق تقديم الخدمة لمن يعرفه ولمن لا يعرفه، وأحبّ شيء لديه مداعبة ومازحة الأطفال، تعرّفت عليه في بغداد نهاية التسعينيات، وتطورت علاقتنا، حتى صرت أذهب معه إلى منطقته وأقضي معه اليوم واليومين بين دار أسرته الريفية الفارهة ببنائها وأرضها الزراعية المتنوعة الخضار والفواكه، وبين سياحة الصيد والسباحة في البحيرة القريبة من منطقته، وصار هو يزورني -في بيتي- ويقضي معي اليوم واليومين مستمتعا فرحا رغم

الفارق الكبير بين بيتينا من حيث السعة والأبّهة، كان يحبذ كثيرا أجواء حيّنا الشعبي ومقاهيه ومطاعم أكلاته السريعة وأسواقه المكتظة بالناس، وكان إلى ذلك غزير المطالعة لا ينقطع عن مصاحبة كتاب من الكتب الروائية العالمية أو غير العالمية في كل مشاويره التي يقضيها معي أو من دوني، ودائماً ماكنتُ أقول إنّ أحد أفضاله عليّ أنه زرع فيّ حبّ القراءة مذ تلك الأيام الخوالي.

ينظر سالم الى الكتب المصفوفة عموديا خلف قيس.

ينتبه قيس لنظرات سالم.

قيس (موضحا): ليست هذه كتبي إنما كتب الحاج علوان جلبها لي لأتسلى بها بعد أن عرف أني مولع بالقراءة.

يتنهد ثم يستأنف الحديث.

قيس: قطعنا أنا وهو وعداً على أنفسنا بألاّ يتخلف أيٌّ منّا عن حضور عرس صاحبه، مهما كانت الظروف، وكان أمر حضوري في عرسه من الميسّرات، ذلك أني كنت أعرف تأريخ عرسه، إنه بعد تخرجه بأيام عشرة، فحضرت معه وباركت لهُ

وعدت موفورا هانئ البال، ذلك أني وفيت بالوعد الذي قطعته.

هذا ما يخص زواجه، أمّا ما يخص زواجي أنا، فلم تكن هذ المسألة من أولوياتي وقتها، وانقطعنا عن بعضنا بعد زواجه ومرت الأيام والسنون، ودخلت القوات الامريكية وسقط صدام وتغيرت الأحوال، حتى جاء اليوم الذي حدد فيه موعد زواجي وقد خط المشيب رأسي فأنا في عام الفين وأربعة عشر..

كان التلفون الأرضي الذي انتهى دوره حلقة الوصل الأقرب بيني وبينه، وحاولت جهدي أن أعثر عليه في الفيس بوك أو من أيٍّ من الأصدقاء والمعارف فلم أصل الى شيء، فقررت الذهاب الى صلاح الدين لزيارته ودعوته لحضور عرسي، كنت متأكدا أنه سيشكرني أني لم أنسه.. عندما عزمت على المجيء كنت أسمع وأشاهد في التلفاز مايقوم به الدواعش من استفزازات واعتداءات على الأهالي هنا وهناك، لكن الأمر لم يبلغ مرتبة احتلال المدن والقرى .. وهكذا أتيت بإحدى الحافلات وهبطت في كراج صلاح الدين الرئيسي وركبت سيارة أجرة لتقلني الى دار صاحبي وكانت اقرب نقطة دالة لها معسكر سبايكر، وما إن

اقتربنا من المعسكر صرنا نرى جثثا لعسكريين وأعلاما داعشية سوداء تتجول بها سيارات حوضية تقل مجموعات أشخاص ملثمين، حينها تملّكَ الفزع أمري وأمر السائق الذي أدين له بنجاتي هو والحاج علوان.

اتصل السائق بأخيه الأكبر وعلم منه انتهاء أمور المدينة بيد داعش، وطلب من ذاك أن يخفيني في صندوق السيارة ثم يأتي بي إلى بيته، واستجبنا أنا والسائق لما طلب فدسست نفسي في بطن الصندوق وقفل بابه علي، وأدار عجلة سيارته ومرّ من عدة سيطرات حتى انتهينا إلى داخل بيت الحاج علوان . فأنزلني وتفقد وضعي ثم تحدّث مع الحاج علوان همسا، بعدها جلس خلف مقوده وانطلق بها منصرفا.

وتلقاني الحاج علوان حفيا مطمئنا وقال اتبعني فتبعته والخوف يتملكني، فاجتزنا دهليزا طويلا ثم انتهى الدهليز الى رواق عريض واجتزنا الرواق لندخل غرفة تظهر تفاصيلها أنها مطبخ الدار وفيها عجوز تحيك ليفا وفتاة تحضر عجين الخبز، لكن العجوز والفتاة لم يعبآ بنا وحتى لم يرفعا عيونهما إلينا، ولو أن

أيّا منهما أسبغت عليّ نظرة ودودة لخفّفت عليّ شيئا من ضجيج قلقي وتوجسي الذي تملك أمري كله، اجتزنا غرفة العجوز والفتاة ودخلناغرفة خالية من البشر ممتلئة بالأثاث، وقفل الحاج علوان بابها وقصد كنتورا له سبعة أبواب يشمل طوله كل طول الغرفة، وفتح بابه الأوسط وأخذ يعالج الخشبة العريضة الخلفية حتى سلتها من موقعها وكانت معدة للفك والتركيب ودخل بها مخترقا الكنتور إلى الجانب الآخر ودعاني إلى العبور بعده، فعبرت في أثره لا أنوي على شيء سوى الإذعان لأوامره التي بدت الطلاسم تحيطها من كل جانب، وما أفظع التعامل مع الطلاسم في ظرف مماثل لظرفي ذاك، وما إن دخلت هنا قلت : «يا الله إنها غرفة سرية»

عماد: انها رحلة العودة من الموت الى المجهول.

سالم: المجهول أيضا نوع من الموت.

يصمت قيس وينقّل بسبابته بين عماد وسالم حتى توقفت السبابة على عماد.

قيس: جاء دورك أيها الرسام.

تستدير عيون عماد في المكان،وتعود الى سالم وقيس.

عماد: أنا تركت المدرسة بعد وفاة والدي واشتغلت مع ابن عمي لأعيل أمي وأخواتي الخمس، مع أني كنت أعشق الرسم وكانت أمنيتي تطوير موهبتي في فنون الرسم ضمن المسار الأكاديمي، لكنّ رياح الظروف جاءت بالضد من اشتهاء سفينتي.. على أية حال، صرت أذهب مع ابن عمي الى صلاح الدين لشراء العنب والرمان والبرتقال من مزارعها ومن ثم نبيعها جملة إلى سوق السماوة الكبير.. كان هذا العمل يدر علينا ربحا جيدا، وعندما ازدادت سخونة الأخبار القادمة من الموصل وصلاح الدين ومايفعله الدواعش من انتهاكات واعتداءات على الناس اقترحت على ابن عمي التوقف عن الذهاب الى صلاح الدين وقصر عملنا على داخل المحافظة، لكنه لم يعبأ باقتراحي، وراح يضحك استهانة بما يسمعه ويراه من أخبار ومشاهد .. ولم يكن أمامي إلا مرافقته مع أني كنت أتوقع سوء العاقبة.

وما إن عبرنا بسيارتنا البيك أب السيطرة الأمنية التي كان مقرها عند مدخل المحافظة -وكانت خالية من أفرادها- حتى

وجدنا عالما غير العالم الذي كنا معتادين على رؤيته، صرنا نرى سيارات محترقة وجثثا ملقاة هنا وهناك، ورجالا ملثمين، مرتدين أزياء مختلفة، فقررنا أن نعود أدراجنا وننسى أمر العنب والبرتقال، ولكن ليس أمامنا غير إكمال الشارع لبلوغ الاستدارة، وعند الاستدارة أوقفتنا مفرزة داعشية وأمرنا أفرادها بالترجل، وبعد ترجلنا أخذ أحدهم منا هوياتنا وراح يستطلع مافيها من معلومات، وإن هي إلا أن هتف بشخصين مسلحين كانا خلفنا:

قيداهما واجلساهما هنا لنمتع ناظريهما ثم نسلخهما عند حلول الظلام..

ففقيدان هذان وأجلسانا قربهم وصرنا نرى من الفظائع التي تركتب بحق العباد مالا يمكن تصوره، شاهدت رجلا خمسينيا مقبلا مع امرأته من أحد البيوت القريبة يحمل كلٌّ منهما صينية مملوءة بأطباق الرز والمرق واللحم والسمك لأفراد السيطرة، وبعد أن وضعا الصينيتين عندهم وبدأ أولئك بالأكل، راحا يغدقان عليهم بكلمات التبجيل والمديح، وبدعاء الانتصار على أعدائهم من داخل البلد وخارجه، ثم طلب الرجل مترجيا من

كبيرهم أن يرخص لزوجته «أم خميس» بإطلاق النار على صدر أحد المستحقين للموت، لتحقق أكبر أمنياتها، فضحك ذاك وقال:

- أبشر، إليك..

وفي أثناء ذلك جاء رجلان يجران جنديا مربوطَ اليدين بكوفية حمراء، لأتبين ملامحه بسبب الكدمات والدماء، جاءا به إلى عناصر السيطرة المشغولين بالأكل وهتف أحدهم:

حياكم الله يا أخوتي قبضنا لكم على جندي خسيس.

فقال الكبير للرجل الخمسيني. انظر، إن الله يحب زوجتك، ولهذا جاء إليها بمن تقتله من الخسيسين، والتفت إلى المرأة وقال: خذي يا أم خميس تلك البارودة وحققي أكبر أمنياتك هنيئا لك، فالتقطت المرأة البندقية وأعطتها لزوجها ليهيئها لها، فسحب زوجها الزناد وأعادها لها وقال : إنها جاهزة صوبي على هذا الملعون وخذي روحه، فأطلقت على وجه الجندي المسكين وصدره وباقي تفاصيل جسده أكثر من عشرين إطلاقة، ثم أعادت البندقية إلى مكانها وراحت تزغرد وتهتف: الآن برد قلبي وشفي غليلي.

كما شاهدنا في الجانب الآخر من الشارع شبانا يذبحون كما الشاء بأيدي رجال ونساء وحتى صبيان، وشاهدنا سيارات تلغم وتفجر بأصحابها، وشاهدنا نساءً يعدمن جرًا بحبال مشدودة إلى سيارات على الإسفلت حتى تتناثر أعضاءُهن، وشاهدنا وشاهدنا ..

وبعد أن غشينا الظلام، أمر كبيرهم مسلحا من جماعته أن ينهي أمرنا ولكن بعيدا عن موقع السيطرة حتى لا يتوسخ المكان بالدم والذباب، فصدع هذا للأمر وساقنا إلى جهة الشجيرات، وكنت لا أنفك أدعو الله ان تزهق روحي سريعا.

سار بنا إلى خلف الشجيرات على ضوء مصباح موبايله، في أثناء سيرنا شعرت بيده تمتد الى جيب بنطالي الخلفي وتسلت منه ورقة كنت رسمت عليها ناعورا وقربه عرس يتخلله صف رجال يدبكون وصاحب دمام يضرب بدمامه، واختفى حينها ضوء مصباحه من الطريق لأنه قصره على ورقة الرسم ممعنا في تفاصيلها، أظن أنّ الرسمة أثرت في نفسه شيئا ..قال لي بعد أن طواها طويتين ودسها في جيبه :

أأنت رسمتها؟

قلت: «نعم»

بعدها أوقفنا عند شجرة وقد جعل ظهرينا له ووجهينا إلى الشجرة فأطلق علينا رصاصا فرديا بحدود العشر رصاصات وسقطنا أنا وابن عمي مخضبين بدمائنا وذهب هو وأحسست بحرارة تكاد تفصل كتفي عن بدني، لكني بعد تفحص بدني عرفت أن بدني لم تنل منه غير رصاصة الكتف بخلاف ابن عمي الذي بدى ظهره مزروعا بالطلقات.

قلت في نفسي: ربما لم يشأ قتلي لإعجابه برسمتي، على أية حال انسللت بين الشجيرات ووجدتني بعد نصف ساعة من المشي متخفيا أمام بيت مفتوح الباب، وصرت أشعر بأن قواي بدأت تنفد مني وطاقتي أخذت تنضب، قلت ليس أمامي خيار آخر، فتوسلت الله ونبيه وأهل بيته أن يكون أهل الدار من الأخيار لا داعشيين ولا من طينة أم خميس وزوجها .. ودخلتها فظهر لي الحاج علوان وقد هرول إلى باب الدار ليستطلع الوضع خشيةَ أَنَ أكون مراقبا من عين أو عيون الدواعش، ثم عاد لي وأدخلني هنا

حيث قيس، وأحمد الله إن قيس أتى قبلي فلولاه لكان أمر خياطة الجرح وتعقيمه عسيرة على الحاج علوان.

قيس مبتسما: ألم أقل لكما أن سردابنا سيضج بالحياة (ينظر الى سالم) وماذا عنك سالمنا.

يخيم الصمت على سالم ثم يبدأ بالكلام وكأنه ولي او نبي من زمن غابر.

سالم: «جاءتني الزهرة بنت النبي بالطيف وأخبرتني أنّ ولديك سيعيشان طويلا ويدركان وفاتك». ينظر قيس وعماد إليه نظرتين مستفهمتين.

يكمل سالم حديثه.

سالم: هذه الكلمة التي قالتها أمي لي ولأخي الأصغر حينما كنت أوظب حقيبتي لتوديعهما وتوديع أبي، مغادرا مع رفاقي إلى مكان وحدتنا الجديد وهو قيادة قوات صلاح الدين بعد إكمال مدة تدريبنا في معسكر النعمانية، تذكّرت هذه الكلمة.. استحضرتها واستحضرت فم أمي الريفي الذي نطقها حينما وجّهَ

قائد الدواعش أمره إلى ذراعه الأيمن أبي شيبان بتقسيمنا نحن العسكريينَ الأسرى إلى مجموعات.

وقوعنا أسرى بأيديهم كانت من المسلمات، ذلك أأَننا حين بّلغنا قيادة قوات صلاح الدين وجدنا الحال لا يسر، أكثر الضباط في حالة بادية من القلق والتوجس، والمراتب لا يعرفون ما يفعلون ونحن الملتحقون الجدد لا نملك سلاحا وليس في المشجب سلاح نعدّل به كفة الحال لصالحنا، فجاء القرار من الضباط الكبار أن نُنقل إلى معسكر سبايكر لأنه بحسب تقديرهم آمن لنا، ولّما دخلنا معسكر سبايكر وجدنا الحال ليس ببعيد الفارق عمّا كنا عليه في القيادة فلا يوجد سلاح في المشاجب ولا أخبار مطمئنة، وأخبرنا أحد الضباط أنهم حاولوا استحصال الموافقة على استقدام طائرات لتنقلنا إلى أقرب موقع آمن، لكن المحاولة فشلت، بعدها جاءنا ضابط وبيده كتب إجازاتنا وقال :

الإذن مفتوح بالمغادرة لمن يريد الذهاب، وجودكم هنا ليس بآمن، هذه إجازاتكم والخيار لكم، فما كان منا إلا الخروج من المعسكر حاملين في جيوبنا إجازاتنا، وانتهى بنا خروجنا إلى

مرابطات داعش وسيطراتهم، فساقونا مقيّدين إلى مواقع التصفية أو الإعدام الجماعي..

أوقفونا في ساحة ترابية ووجّهَ قائدهم أمره إلى ذراعه الأيمن بتقسيم الأسرى إلى مجموعات. لتتكفّلَ -بعدَها- بتصفيةِ كلِّ واحدةٍ مِنها فرقةٌ آمرُها أحدُ مساعِديه، ويتراوح عدد أفرادها بين التسعة والأحد عشر مسلحا.

أُوكل أمر تصفية المجموعة التي تضمني وستة وعشرين آخرين لفرقة الواوي وكانت هذه الفرقة تضم عشرة مسلحين.

كان الأسرى معصوبي العيون حفاة، كلُّ واحدٍ منهم يمسك بأسنانهِ «فانيلة» مَن يتقدمّه مِن جهةِ الظهر، وأمّا الأول فجعلوا فمه يَعضّ طرفَ حبلٍ، أمْسَكَ طرفَهُ الآخر أحدُ مجموعة الواوي، وقريبا من الواحدة ظهرا بلغوا المكان المحدد، فأخرج زعيمهم الواوي كتابا له نسخٌ كثيرةٌ موزّعة بين قادةِ المجاميع ليقرأوه في مراسيمِ التصفيات المميّزة.

بعد أن أتمّ الواوي القراءة أعطى الأمرَ لأحدِ أفرادِ مجموعتهِ بتهيئتنا -نحن السبعة والعشرين أسيرا- للإعدام وصدع هذا

للأمر..فأوقفنا في خطٍ أفقي على حافةِ حفرةٍ يُسمّونها «الوادي» استُخدمت سابقا في التصفياتِ لمرات غير معدودة ..

صَوّبت الفرقة فوّهات بنادقها إلينا منتظرة إشارةَ القائد الذي بدا يَفركُ لحيتَهُ القهوائية بإحدى يديه وقابضا على وسطِ بندقيته بالأخرى، وما إن عادَ المهيئ للمحكومين بالتصفية مهرولا لمكانه بين الفرقة بعد أن وضعهم مرتّبينَ بخطٍّ عرضي على حافة الوادي لاستقبالِ رصاصِ البنادق، ابتدأ قائدُهُم -كما الحال في أيِّ عمليةِ تصفية- الرمي باتجاهنا ليعقبَهُ أفرادُهُ حتى أنهوا الأمر على أكملِ وجه..

هناك مِن الأسرى مَن وقع في الحفرة مع الإطلاقاتِ المغروسةِ في بدنه، ومِنهم آخرون وقعوا صرعى في أماكنِهم لم يتدحرجوا إلى جوفِ الحفرة، وكنت مِن الأوائلِ الذين استقرت أجاسامُهُم في بطنِ الحفرة، ولكنْ لم تكنِ الإطلاقاتُ هي التي دَفعتني إليها إنّما توتّري وفزعي المهول من المشهد الذي لا يَعرفُهُ غير الأناس الذين لم يَعودوا -ربّما- يعيشون معنا في هذه الحياة.

دَفَعَ المسلحون بأقدامِهم وأياديهم الجُثَثَ التي لم تَتدحرجْ

إلى بطنِ الوادي وانهالوا علينا برشقاتٍ ناريةٍ عشوائية ختامية، وأحسست بقفصي الصدري يَستغيث مِن ضغطةِ ركامِ الجثث المتعاظم من تلك التي تُلقى وتُدفع الى داخل الوادي حيث ركام الجثث.

(في برود هستيري) وفي زحمة بشاعة المشهد استفزتني عيون اثنين من الجنود المكدسين ضمن الركام معي كانا إزاء ناظريّ يمران بمرحلة النزع الأكبر، كان الأول قد نبتتْ رصاصةُ كلاشنكوف في يافوخهِ..وأمّا الآخر ففيه رصاصتان إحداهما في نحره والأخرى في أسفل ذقنه، وكلاهما أخذا يصيحان همسا بالرماة طالبي الموت: «مازلتُ حيا ..أجهزْ عليّ ..خلّصني.. مازلت حيا»

سمع همسهما أحد أفراد الفرقة ولم يكترث لهما لكنه أرسلَ لهما وإلى باقي الجثث زخة إطلاقاتٍ أسكتتهما.

سمِعَت أحدُ رماة الفرقة يَصيحُ على أحد رفاقه: ذاك مازال حيا، فنظر هذا إلى حيث أشار رفيقه وقال:

- إنه في ضيق النزع، اتركه ليتعذب ..هيا بنا .

امتدَ وقتُ قراءة البيان والتصفية لنصف ساعة أو ما حواليها وبعدها شغّلوا سياراتهم «البيك أب» الحديثة وانطلقوا لوجهتهم.

خلّصْتُ أنا جسدي -بما بقي لدي مِن طاقةٍ- وتسلقت حجارة الوادي وحشَرت بدني بينَ القصَبِ والحشائش، ورحت أزحفُ حينا وأهرول مِن قعود حينا آخر .

قضيت ساعتين على هذه الحال حتى بلغَت ذروةَ التعب، فأسلمت نفسي للنوم بين القصب، استيقظت على نباح الكلاب، لَمَحَتْ عيناي مرورَ عشراتِ السيارات الحوضية لهم مكتظة بنساءٍ سبايا مكدسات تكديسا.. رَصَدت المشهدَ -ساكنا- مِن خللِ ستارِ القَصَب ولم آتِ بحركةٍ حتّى اختفى منظرُ آخرِ سيارةٍ مِن سياراتِ السبايا. بَعْدَها استأنفت زحفي وهرولتي مُنحنيًا، حتى أدركت ضفةَ نهرِ دجلةَ فرميت بجسمي على مائها، شربت من مائِها العذب حتى ارتويت، ثمّ أسندت ظهري إلى صخرةٍ قابعةٍ على ضفتهِ.. ووقفت عيناي أمام عيني فتى ريفي مع نعيجاته هناك فتسمّرت مكاني وتسمّر الفتى، ثم سمعت الفتى يهتف بالنعيجات هتاف المغادرة، ولم أستطع ترجمة باعث مغادرته

أيكون من أجل جلب الدواعش ليقبضوا عليَّ من جديد! أم مرده تعاطف ذلك الفتى الراعي! أطرقت ثم سعيت إلى حيث كان جالسا الراعي فوجدت زمزمية مملوءة ماءً باردا ونصف رغيف ملتفا على كبة مقلاة وشيء من الخضار فتناولت مارأيت من طعام وشراب من دون أن أعطي نفسي مهلة تريث أو احتياط في أمر تفحص الطعام والشراب إن كان صالحا أو مسموما.. بعدها مشيت خافضا رأسي بين الأحراش، وراودتني فكرة العبور إلى جانب النهر الآخر واستجبت لهذه المراودة، ليس لأني خبيرٌ بجغرافيا هذه المناطقِ، وإنما لأني أرى في الجانبِ الآخر بيوتا، بخلافِ جانبِ النهر الذي أنا فيه، فهو خالٍ من الحياة .

مشيت مسافةَ كيلومتر واحد من موقعِ شهود الفتى الراعي حتى وجدت الموقع المناسب للشروع بالعوم.. قلت:

- لست متأكدا من النجاح،ولكن ما من خيار آخر.

وأدخلت جزئي السفلي بالماء وبدأت اسبح محافظا على هدوئي قدر استطاعتي، مردّدًا كلماتِ أمّي المطمئِنة «جاءتني الزهرة بنت النبي بالطيف وأخبرتني أنّ ولديك سيعيشان طويلا

ويدركان وفاتك» .

كنت لا أنفك أقرأُ تلك الكلماتِ بطريقةِ الانشاد على لحنٍ رأيته منسجمًا معَ أحدِ نعاوي الريفِ الجنوبي لتَشغلني بعضَ الشيءِ عن الخوف.

بلغت الجهة الأخرى من النهر، تمددت على الجرف الرملي لدقائق، ثم دسست جسمي بين الحشائش ونزعت قميصي وعصرته، وكذلك فعلت ببنطالي، بعدها توجهت -بخطى مترددة خائفة- إلى بيت ريفي قريبٍ مني بدا شابٌ يلبسُ ثوباً رصاصيّاً وكوفيّة تتوزّعُ بياضَها نقاطٌ حمر، يَسقي مزروعاتهِ، فزعَ لرؤيتي، اقتربت إليه وقلت بقوى مقتربة من النفاد:

- أرجوك أحتاج مساعدة.

قال لي بعد أن التفت يمنة ويسرة:

- ماذا تريد؟

- أبيت عندكم يوما أو بعض يوم.

حدّق ذاك في وجهي ثم بقدميّ الحافيتين ودخل بيته، وبعد دقيقتين أو ثلاث خرج وبيده رغيف خبز وبالأخرى كيس

نايلوني فيه نعل بلاستيكي و«دشداشة» رصاصية وكوفية مرقطة باللونين الأحمر والابيض.. سلّمَ الأشياء الثلاثة لي وقال:

- والله يقتلونني -وعائلتي- إن أدخلتك منزلي ..هذا كلّ ما أستطيعه، موّه نفسك بها.. فعمدت إلى فتح أزرار قميصي الخاكي لأنزعه، لكن المزارع منعني وطلب إلي الابتعاد والاختباء داخل الحشائش خشية أن تراني -قرب بيته- عين من عيون الدواعش، وقبل مغادرتي أخذ مني اليمين على عدم ذكر اسمه إن وقعت بأيديهم فريسة، فشكرت له صنيعه وذهبت بما أعطاني مبتعدا عن منزله باتجاه أرض حشائشية، وفي أثناء سيري إليها قضيت على الرغيف مأخوذا بشدة الجوع.. حشرت بدني بين الحشائش، وخلعت ملابسي العسكرية ولبست «الدشداشة» والنعل البلاستيكي، واتجهت صوب البيوت المتفرقة. لم أكن أملك في رأسي أيَّ فكرة أو حيلة غير طلب مساعدةٍ، وما أصعب تحقيقها لمثلي في هذه العزلة المحاصرة ببنادق داعش.شاهدت صبيًا ابنَ عشر يقود دراجة هوائية من النوع القديم يقترب مني لاعن قصد.. وما إن تحدثت معه هرب الغلام بدراجته، فظللت أمشي، وسمعت صوتا مزلزلا خلفي كاد يخلع قلبي:

- مكانك

تسمّرت في مكاني جامدا ولكنّ نبض قلبي أبى إلا أن يركض، التفت إلى صاحبه وكان شيخا طاعنا لكنه يملك طاقة وحيوية متوسطي العمر وقلت له:

- تقصدني؟

قال الشيخ بفراسة عينين نابهتين:

- مَن أنت ؟
- (بملامح متصنّعة السكينة) أنا قريب لأسرة من أسر القرية.

وبدا أنه ميّز لهجتي الجنوبية وتجاوز مرتبة الشك في أمري إلى مرتبة الظن بأني أحد الهاربين من عمليات التصفية، قال بعينين غير مصدّقتين:

- أيّ أسرة تعني؟ أنا أعرفهم كلهم.
- (قلت بتوتر وتعتعة في اللسان) لا أعني في هذه المنطقة تحديدا وإنّما التي خلفها، (رميت ببصري بعيدا) أعني تلك الأرض الزراعية!
- (بدهاء) تلك مزرعتنا اسمعني.. من الأفضل لك أن

تخبرني مَن أنت إن كنت تريد النجاة؟!

حينها وباستسلام ويأس قلت له:

- سأخبرك بكل شيء ولكن هل تعدني بأنك لن تشي بي؟
- أعدك..
- أنا جندي..ونجوت دوناً عن كل رفاقي.
- تعني أنك أحد الجنود الذين حكم عليهم بالموت ؟
- أجل.. شاء القدر أن يخطئ الرصاص بدني ويفتح لي باب الهرب..

أطرق الشيخ ثم قال:

- سأسبقك.. اتبعني ولكن اترك مسافة بعيدة بيني وبينك.. وصرت أتبعه عن بعد حتى دخل الشيخ بيتا، بقي داخله دقيقة أو أكثر ثم خرج ملوّحا له بالمجيء والدخول، وما إن دخلت خلفه حتى خلع الشيخ عباءته الوبرية بحركة شبابية وهرع إلى الباب فأحكم إغلاق مزلاجه، وأشار لي أن أتبعه إلى عمق الدار الكبيرة وكان ماكان من أمركما.

يخيم الصمت على الهاربين الثلاثة، ينظرون لبعضهم البعض

بعيون ترجو النجاة، يكسر صوت سالم هذا الصمت محاولا طمأنتهم ربما او طمأنه نفسه.

سالم:

«جاءتني الزهرة بنت النبي بالطيف وأخبرتني أنّ ولديك سيعيشان طويلا ويدركان وفاتك» .

يخيم الظلام تدريجيا على الغرفة..

الفصل الثاني

مشهد نهاري، أرض صحراوية على طرفها من جهة يسار المسرح سدة ترابية تختلف في هيئتها عن السدة في المشهد الأول.

يتخلل المشهد العام أصوات انفجارات ورمي يعلو حينا ويهبط حينا وينقطع خاصة عند حديث الأشخاص حينا آخر.

يدخل الجنود ونائب ضابط حبيب تباعا والتعب والارهاق بادٍ على وجوههم التي تطغى عليها وعلى ملابسهم الأتربة، يجلسون جميعا متصافين عند منحدر السدة الترابية.

يدخل نقيب زهير متقلدا منظاره ماسكا بيده خريطة قماشية زيتونية مطوية، ويغطي وجهه ورقبته العرق والتراب، وقد بدت ذراعه محاطة بضمادة ولفاف طبي أبيض، لكنه مع ذلك بدا بكامل حيويته، يدخل ومعه ضابطان برتبة ملازم منهكان من الاعياء والتعب.

يقف نقيب زهير بجلد واستقامة حادة وأبهة جاعلا راحتيه على خاصرتيه، عند أول جندي من صف المقاتلين يتفرس في وجهه، ثم في وجه الجندي الآخر وينتقل إلى الجندي الآخر وهكذا حتى ينتهي منهم جميعا، ليعود ويقف أمامهم في الوسط ويخطب بهم.

النقيب: هكذا هكذا وإلا فلالا ..ليس كل الرجال تدعى رجالا، إنّ أسماءكم هذا اليوم قد كتبت في لوح الطف جوار العرش مع الأحرار كبار الأرواح الأمناء..

يا أبناء الكرار هنيئا لي فأنا فرد منكم يا أبناء الزهراء..

وأنا فرد كافأته مناجاته عند شباك مولاه مولى المساكين سيد سادات العالمين أميري أمير التقى وحبيبُ حبيبِ الورى خاتم الأنبياءْ، هنا ظفرت بكم يا أبناء الزهراءْ، فأنا واحد منكم.. طوبى لخطاكم ..طوبى لسواعدم.. طوبى لهواكم..طوبى لأمانيّكم.

يصمت هنيهة ويهتف

النقيب: صدقوني لم أذرف قطرة دمع واحدة على سليم وماجد وفيصل (بعض من الجنود يشرع بالبكاء) أتعلمون لِمَ لَمْ أبك ؟! لأنهم ببساطة فازوا بلقاء أبي الأحرار الحسين (يؤدي حركة بيمناه انفعالا وتأثرا) لأنهم الآن يشربون ماء الحياة الأبدية من قربة أبي الفضل..لأنهم صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمَنّ عليهم بعاقبة البررة المقربين والصدّيقين، منّ عليهم بخاتمة الشهادة ..فطوبى لنصرهم وطوبى لسيرتهم وطوبى لخاتمتهم .

يصمت لحظات ويتفرس من جديد بوجوههم اجمالا ويهتف بصخب مخاطبهم:

- أشبال الكرار

- نعم سيدي
- هل اكتفيتم ؟
- كلا وألف كلا
- متى تكتفون ؟
- عندما يبيدهم بأسنا عن آخرهم
- ماهتاف المواجهة؟
- لبيك ياحسين
- ماصيحة النصر؟
- لبيك يازهراء

ينتحي مع الملازمين الى مقدمة المسرح، يبسط الخريطة القماشية التي هي بحدود متر مربع بينه وبين الملازمين ويشرع نقيب زهير يبيّن لهما المواقع المطلوب تحريرها عليها من دون أن يسمع كلامه ملوحا الى هذا الموقع أو ذاك بسبابته. ثم يقوم بتأدية حركة تمثيلية بذراعه تشبه حركة الموج البحري، يقول ملازم عبد الله:

ملازم عبد الله: ها ..هجمة الموجة.

ملازم غضنفر: خطة الموجة، سيدي ليست في صالح المدنيين.

نقيب زهير: أنا معك، لذلك يجب قبل الهجوم التثبت من هذا الأمر.

ملازم عبد الله: لا أتوقع وجود مدنيين، لو بقي منهم نفر، فهم ولاريب مرضى ومسنون ليس بمقدورهم تحمل مشاق النزوح، وهؤلاء -على ما أرى- سيبقون ملازمين لحجرهم فلا يخشى عليهم.

ملازم غضنفر: نعم فعدد النازحين الذين أمنّاهم يفوق التصور، ولا أحسب أنّ هناك غيرهم عدا العاجزين.

النقيب: إذن العملية المناسبة للمهاجمة هي عملية الموجة، ستكون خاطفة وماحقة بإذن الله.

يرن هاتف النقيب زهير رنة الرسائل الصوتية، يشغل الرسالة فيظهر صوت زوجته حوراء وهي تبكي.

صوت حوراء: لم يكن عليّ إخبارك..ترددت كثيرا، مات

ابننا يا زهير ..لم يكن عليّ إخبارك آسفة يا زوجي الحبيب.

يجمد زهير متسمّرا في مكانه وقد تكاثفت وتعالت أصوات الرمي والمقذوفات، يأخذ شهيقاً طويلا ويطلقه في زفير طويل ويجعل يده تفرك حنكه بقوة، ويدور على عقبيه منفردا عن الملازمين بضعة خطوات موليا وجهه إلى الجهة المعاكسة حتى لا يبدو أمامهما ضعيفا أو منكسرا، ويحني رأسه إلى الأرض.

ملازم عبد الله: هنالك أمر خطير قد ورده في الرسالة.

ملازم غضنفر: على الأكثر مصدرها من البيت، سأخبره أنه يمكنه الذهاب والاتكال علينا.

ملازم عبد الله : لا تحاول ..أعرف زهيرا جيدا، لن يترك مهمته تحت أي ظرف.

يهتف جندي بصوت مضطرب عال.

الجندي: عمار، عمار

يفز زهير فزعا من انحناءته المسافرة إلى حيث ابنه ويهتف

النقيب: حبيب، ما هنالك؟

حبيب بصوت متأثر وقد بدا ضمن الجنود ينظر إلى جهة عمار من قمة السدة الترابية.

حبيب: سيدي هذا عمار انحدر إلى تلك السيدة النازحة دون أن أعلم به.

النقيب: ما الذي يفعل هذا المجنون (ثم إلى القوات بأعلى صوته) شاغلوا الأعداء بالرمي، لا تتوقفوا طرفة عين (يهرول هو إلى بندقيته ويلتقطها ويشرع بالرمي مع القوات بكثافة ويصنع الملازمان ماصنع) وتسيّد المشهد اطلاق كثيف للعيارات النارية باتجاه الأعداء يستمر هذا المشهد قريبا من دقيقة كاملة، يهتف بعدها زهير على جاسم وقد بدا على وجهه الوجوم والفزع.

.النقيب: جاسم! امضِ له، يبدو أنه قد أصيب،اذهب له.

يصدع جاسم للأمر وينطلق منحدرا إلى حيث عمار والسيدة والطفل.

زهير يهاتف القوات: كثفوا رميكم، استمروا بالمشاغلة

(يطلق النار هو بضراوة)بعد حوالي دقيقة تظهر المرأة تبدو في أواسط عقدها الخمسيني، ويظهر جاسم حاملا الطفل ويظهر عمار واقفا جامعا ساقيه إلى بعضهما ابتغاء إخفاء إصابته التي طالت لحمة ساقه اليسرى، ويبدو مأخوذا بالتعب ويعض على شفتيه من تأثير ألم الجرح.

لم يملك النقيب زهير إلا أن يركض إلى عمار ويتفقد وجهه وعينيه ثم ينتقل الى اصابته التي لم يظهرها عمار، يطلب منه الجلوس واسناد ظهره إلى السدة الترابية، ومن ثم يهتف إلى جاسم.

النقيب: جاسم.. إلي بكوفيتك.

يفك جاسم حلقة كوفيته المرقطة باللونين الأبيض والأسود من حول عنقه ويسلمها لنقيب زهير، ويعمد زهير إلى معاينة الجرح ويقول بملامح مطمئنة.

النقيب: أمره يسير.

ثم يشرع بشده بالكوفية شدا محكما ويطلب من جاسم أن

يرافقه إلى وحدة الميدان الطبية لإجراء اللازم له.

تسلمت المرأة النازحة ولدها بالبكاء والنحيب، تتفحص وجهه وعينيه الباكيتين، ثم ترفع وجهها المغلف بالغبار، وتلقي بعينيها إلى السماء وتصيح بصوت غليظ ممزوج بالنشيج.

المرأة النازحة: ربي يامن نجّيت يونس من ظلمات الحوت وليل المتاهات..

وخلصت يوسف من غياهب الجبّ وسجن السلطان..

وجعلته عزيزا في الناس ذا شان..

يامن فلقت بحرك لكليمك، ليسلك فيه درب السلامة..

وأطبقته على جند فرعون إطباقة لاتفك إبرامها صيحات الندامة..

يامن آمنت حبيبك أبا الزهراء وقلت له امضِ وأنا معك في السراء والضراء..

ونصرته بنصرك المؤزر على شر الأشرار وكيد الأعداء..

يامغيث المستغيث، وكاشف هم المهموم ومقيل عثرة العاثر، ومجير لهفة المظلوم، أسألك بعين ذاوية ودمعة جارية وقلب مجروح وصوت مبحوح أن تقرّ عيني وعين كلّ أم ظُلمت وقُهرت وفجعت بذويها كما ظُلمت وقُهرت وفُجعت أنا.. ياشديد القوى قرّ عيني بنصر هؤلاء أبنائك، ناصري كلمتك العليا ودينك دين لسلام.

ينظر النقيب زهير إليها نظرة الابن المبتسم الى أمه، ويقول لها مستفهما.

النقيب: حمدا لله على سلامتك يا أمنا الغالية. ولكن أخبريني! هل بقي أحد من أسرتك هناك ؟

تأخذ المرأة البكاء بحرقة.

المرأة النازحة: قتلوهم جميعا! قتلوا ولدي وزوجته والدَي حفيدي هذا، قتلوا أفراد أسرتي كلهم لأنهم أرادوا الخلاص بجلودهم، كان الدواعش يتخذونهم دروعا بشرية ياولدي (تبكي بنشيج) قتلوا زوجي وولدي وزوجته (بصوت مخنوق باك) وبنتيّ الثنتين، قتلوهم كلهم برصاص بنادقهم (وتضيف

بعد لحظات صمت قضتها تمسح بطرف وشاح عصابتها خطي الدمع المنحدر على وجنتيها المكرمشتين):

المرأة النازحة: هناك الكثير من الأسر محجوزون، نعم هنالك الكثير.

يشملها النقيب زهير بنظرات مشفقة للحظات ثم ينادي أحد الجنود.

النقيب : جاسم.

يأتي جاسم مهرولا ويؤدي التحية : نعم سيدي.

النقيب:رافق أمّنا إلى موقع النازحين.

يستجيب جاسم مؤديا التحية ويخرج مع المرأة الحاملة حفيدها. ثم يعود النقيب زهير إلى الملازمين.

النقيب: مازال هنالك مدنيون كثر، خطة الموجة ليست في صالحهم كما تعلمان، وإذن سنهاجم على وفق خطة القوس.

ملازم عبد الله: سيدي..خطة القوس يتطلب تنفيذها عددا

إضافيا من المقاتلين، عددنا هذا لايكفي.

النقيب: لا تضخم الموضوع يا ملازم عبد الله، بعددنا هذا نفسه حررنا ثلاث نواح.. لا تنس أنّ الدواعش في أبأس حالاتهم.. اعلم أننا كلما تعجلنا في هجومنا كبرت مساحة انتصارنا، لا يجدر بنا -ياعبد الله- منحهم فرصة لالتقاط أنفاسهم، التقاط أنفاسهم يعني فرصة هرب (يطلق زفيرا طويلا ويضيف) والله أثقل شيء على نفسي هو عندما أرى مَن يظفر منهم بالهرب من أيدينا.

ملازم عبد الله: لكن سيدي نحن في هذه المعركة نواجه قياداتهم، وأنت تعرف أن هذه الأوكار لابد أن تكون محصّنة بالقناصة والأسلحة الثقيلة وربما زرعوا الأرض بالعبوات والألغام

النقيب:لأجل هذا ياعبدالله رُشِّح فوجنا للمهمة يطلب ملازم غضنفر الناظور من نقيب زهير فينزعه زهير من عنقه ويسلمه له، يقوم غضنفر بعمل مسح لجهة البيوت والابنية المقابلة التي يتحصن بها العدو ثم يقول.

ملازم غضنفر:فعلا، خطة القوس هي الأنسب كي نحافظ

على أرواح المدنيين الباقين (يرمق عيني زهير) لكني مع عبد الله سيدي، عملية القوس كما تعلم تشكيل نصف دائري يفيدنا في تطويق الحي كله، وعدد قواتنا لا يسد ثلثي هذ القوس.

النقيب زهير بنظرة اعتداد مبتسمة.

النقيب: قوسنا سيطوق نصف الحي لا الحي كله..

ملازم عبد الله: نصف الحي.

النقيب: النصف الذي تتركز فيه مصادر نيرانهم، من المرجح أَن قياداتهم تشغله ألا تتفقان معي؟

يسرّح ملازم عبد الله عينيه في اتجاه العدو متفكرا، وإن هي إلا أن أعربت وجهه عن ملامح راضية وحرك برأسه كأنه استحسن فكرة تحويط نصف الحي، وأمّا ملازم غضنفر فأخذ يفرك حنكه براحته منفقا لحظات على هذه الهيئة ثم هتف بوجه بادية عليه تعابير الإعجاب.

ملازم غضنفر:طوبى لعقلك سيدي (يشير بيده اليمنى لتلك البناية الضخمة) من هناك تأتي أكثر إطلاقاتهم، يمكنني

الجزم بأن شاغليها هم رؤوس داعش الكبيرة.

النقيب: هذه العملية ستؤتي أكلها سريعا إن شاء الله وبأقل عدد من الأخطاء فهي نسخة من عمليتنا السابقة، أليس كذلك ؟

ملازم عبد الله: نعم ستكون مطابقة لها.

النقيب: سيقوم كلٌّ منا بمهمته ذاتها، هل نحن متفقون؟

ملازم عبد الله : نعم سيدي.

ملازم غضنفر: كل الاتفاق سيدي.

يلتفت النقيب زهير الى المقاتلين ويهتف.

النقيب: حسنا فليقف أبطالنا.

ينتبه انتباهة المتفاجئ الى جهة عمار الذي مازال متخذا مكانه وبندقيته بين المقاتلين، فيهتف بغضب مناديا عليه.

النقيب: عمار؟ مازلت هنا؟ تعال.

هنا أمامي.

يقبل عمار بخطى رزنة ثابتة، يمعن في إخفاء تأثير الإصابة عن النقيب زهير، تبدو لحمة ساقه مشدودة بالكوفية البيضاء المرقطة باللون الأسود.

النقيب بغضب: لِمَ لَمْ تُطع الأمر ياولد؟

عمار: إنه خدش ليس إلا سيدي.

النقيب: أنا من يقرر إن كان جرحك يسيرا أو بليغا.

يعم الموقف لحظات صمت، ثم يزفر نقيب زهير محاولا تمالك أمره:

النقيب: اسمع يافتى ! لقد أديت ماعليك، بقاؤك معنا بهذي الحال يعوقنا أكثر مما ينفعنا أتفهمني، هل يرضيك أن نخسر معركتنا هذي (مشيرا بسبابته نحو المقاتلين) وتزهق أرواح هؤلاء بسببك؟ أيرضيك هذا قل لي أيرضيك؟

تنحدر دموع عمار ويقول بصوت متوسل:

عمار: أقسم لك أنّ جرحي ماهو إلا جرح سطحي لم لاتصدقني أتريدني حل الكوفية لتراه، سأحلها.

ينحني عمار محاولا فك عقدة الكوفية فيهتف زهير ليردعه.

النقيب:سأصفعك إن حللتها أفهمت؟

ألغى عمار فكرة حل الكوفية، وانتبه كأنه تذكر فكرة غيرها تناسب الموقف وأخذ يرمق عيني النقيب زهير بنظرة راجية، ثم راح يقفز متصنعاً عدم المبالاة لألم الجرح وهو يقول:

عمار: انظر سيدي لا أشعر بأي ألم، أتعدّ مثل هذا جرحا إنه ليس سوى خدش حقير، انظر.

زهير بملامح مشفقة ورافضة في ذات الوقت لما يؤديه عمار من حركات بهلوانية.

النقيب:استقر يافتى ..حركاتك المجنونة هذه قد تلفظ دماء ساقك كلها، توقف عن القفز.. قد تحدث نزيفاً لا تردعه قماشة الكوفية .

يأبى الفتى عمار إلا الاستمرار بقفزاته وهو يقول.

عمار: انظر، كما لو أن لحمة ساقي لم تمر عليها لمسة رصاصة، انظر؟

ينفخ نقيب زهير من صدر ضيق ويهتف صائحا مرعدا بكل صوته وبنظرات تتقمص الغضب كله:

النقيب: قلت كف عن القفز!

يتوقف عمار، وعيناه الى الأرض لا يلوي على شيء، يأخذ الملازمان يشملان وجه عمار المتعرّق من تأثير قفزاته ولهاثه المتسيد أنفاسه بشيء من الابتسام والإكبار، يحاول ملازم عبد الله استدراك الموقف.

ملازم عبد الله: أقترح أن تتركه وما يريد سيدي.. مادام الجرح ظاهريا ومادام هو راغبا بالبقاء والمشاركة في المعركة معنا.

يرمق النقيب زهير ملازم عبد الله بنظرة استنكار ويهتف:

النقيب:أتريدني أن أراه ميتا؟ أتعلم أنه دون السابعة عشرة؟ أتعلم أنه زوّر هويته لإخفاء عمره الحقيقي (تنقلب نظرة ملازم عبد الله وملازم غضنفر إلى نظرة مستغربة، ويستأنف زهير كلامه)

النقيب: أتعلم أنه وحيد أمه وأبيه، وأنه تركهما بجنونه وطيشه بين جدران غرفتهما الأربعة ومضى غير مبال بالجمر المستعر في أحشائهما بسبب فعله الأناني، تركهما لأنينهما وحسراتهما لينتظرا قدوم نعيه هو الآخر، ولم تجفّ بعد دموع حزنهما على شقيقه البكر المذبوح في سبايكر.

تحل نظرات التعجب والاستغراب من الملازمين.

يحاول عمار تبرير موقفه، وهو ينظر للأرض.

عمار: أخي حي وليس ميتا سيدي.

ملازم عبد الله مستغربا: ماذا يعني هذا؟ هل هو ميت أم حي؟

ملازم غضنفر:هل جاءكم منه خبر بوسيلة ما يعلمكم بأنه حي ؟

النقيب: بنظرة غير مقتنعة: جاء أمه حلم يخبرها أن ولديها سيدركان وفاتها ويعيشان طويلا.

ملازم عبد الله: حلم؟

ملازم غضنفر: حلم الأم دائما ما يكون لصالح حياة أبنائها.

يضع زهير راحته على فمه ثم يقول وعيناه تشملان وجه عمار

النقيب: هل تعي معنى أن تفجع الأم بابنها! هل تعي معنى (تنحدر دمعة على خده ويبادرها ماسحا براحة كفه) هل تعي معنى أن يفجع أب بابنه! مازالت مرارة هذه الفجيعة في ريقي.. أتعلم أيّها الأحمق قد نُعي إليّ ولدي اليوم وليس غيره ! نُعي إليّ ولدي قبل نصف ساعة، نعم قبل نصف ساعة، أخبرتني زوجتي بنبأ رحيل ابننا الوحيد (يبكي، وينتبه عمار والملازمان بنظرات

أسيفة متفاجئة ويضيف هو) أقسم أن نعي ولدي (تنحدر دموعه ويتركاها تنساب سالكة طريقها الى زاويتي فمه وحنكه السفلي) قد أخذ مني روحي كلها دفعة واحدة، ولاتسألوني أنّى وكيف بقيت محافظاً على هيئتي واتزاني (ينظر الى الملازمين) وأنّى لي مشاركتكما خطة القتال، أقسم لكم أنّي أجهل هذا الأمر .. ربّما هو مددٌ من مولاتي الزهراء التي تعوّدتُ من صغري أن أحيّيها صباحا ومساءً وأسألها شفاعتها في دنياي وآخرتي، وربّما هو مدد من روح صاحب الفتوى السيد السيستاني، أو مدد من روح هذه الأرض الطيبة أو ربما (يشير بيده صوب المقاتلين) أو ربما مدد هؤلاء، أو مدد متآلف من كل ذلك.

ملازم غضنفر بوجه حزين : لشد ما آلمنا الخبر سيدي، أدعو الله أن يجبر مصابكم ويحسن لكم العزاء.

ملازم عبد الله: توقعنا أنّ أمرا ما وقع عند قراءتك الرسالة الهاتفية لكن لم تخطر على بالنا أنكم فجعتم بولدكم، إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله، دعائي من الله أن يشمل الفقيد بعنايته وحِماه وأن يلهمكم سيدي صبره وسلوانه.

ملازم غضنفر: لكن سيدي كان يجدر بك أن تذهب إلى ولدك وأهلك، فلا أظن هنالك ظرف يحتاجونك فيه أهم من هذا الظرف الأليم ؟

ملازم عبد الله: يجب أن تذهب سيدي الآن إلى أسرتك أتوسل إليك.

النقيب يزفر بنفس طويل: أشكر لكما من صميم قلبي مشاعركما الطيبة، وتعازيكما النبيلة، أمّا أمر ذهابي إلى البيت فصدقاني لا أستطيع ..(ينظر الى المقاتلين) إنْ تركت هؤلاء وهذه المهمة سأعيش مُصابَيْنِ لا مصابا واحدا، هل تفهمان قصدي؟

ينظران اليه بنظرات مستسلمة موافقة، يمسح هو الدموع الهابطة من عينيه على خديه بكمه وينظر الى عمار يقول.

النقيب: المرارة التي دلفت إلى صدرَي والديك عندما نُعي إليهما سالم لا يعدلها مرارات الكون بأسره، فإيّاك ثم إياك أن تستهين بروحك، ليس لأجلك أيها الأحمق إنما لأجل والديك المسكينين.

يجهش عمار بالبكاء ويقول:

عمار: يشهد الله قد أخذ مني نبأ وفاة ابنك سيدي مأخذا عظيما، أرجو الله أن لايقطع عنك عزاءه وصبره، ولقد تراءى لي -وأنت تتحدث عن مرارة فقد ولدك- تراءى لي والدي ساعة غشيه نبأ وفاة أخي المغلوط.

ملازم عبد الله: المغلوط؟

النقيب غير مقتنع: مغلوط لأنه يخالف ماجاء به الحلم.

ملازم غضنفر: عمار! أتريد رأيي ! والداك يحتاجانك أكثر منا. الصواب كلّ الصواب هو أن تذهب إليهما لتعيد إليهما حياتهما، فهما الآن كما الأموات، لايمكنك أن تقدّر أو تشعر بذلك الموت الذي يستحوذ على نفسيهما، فهذا الشعور مقصور على الذين أُفجعوا بأولادهم ياعمار.

يهتف عمار بصوت مشبع بالنشيج:

عمار: أتوسل إليكم اتركوني أكمل مابدأته ..لاتجعلوني أحرم الساعة التي كنت أمنّي النفس ليل نهار على حضورها .

يقترب ملازم عبد الله -الذي بدت على عينيه وملامحه تعابير

التأثر والاشفاق- من عمار وينحنى إلى ساقه يتفحصها ثم يرفع رأسه ويقول لنقيب زهير:

ملازم عبد الله:إنه مصرّ إصرار المجانين، وجرحه ليس بالخطير سيدي، ولكن الأمر -طبعا- لك سيدي.

ينظر النقيب زهير بعيني عمار الأسيفتين ويقول له:

النقيب:كما تشاء..اذهب اذهب.

يذهب عمار، ينادي النقيب زهير على حبيب الذي يأتي مسرعا.

النقيب: أكرر ماقلته بخصوص هذا الفتى، إحمه اكثر من نفسك ياحبيب.

حبيب: اطمئن سيدي.

النقيب:حسنا، اذهب لموقعك.

يذهب حبيب، يستدير النقيب نحو الملازمين:

النقيب:علينا أن لا نغفل عن هذا الطائش رمشة عين في

أثناء الهجوم، أخشى من تهوره..أريده أن يعود لوالديه سالما.

ملازم عبد الله : وهو كذلك سيدي.

ملازم غضنفر: حسنا سيدي.

النقيب زهير يستفهم منهما: كل الأمور مهيأة؟

ملازم غضنفر: كلنا جاهزون سيدي.

ملازم عبد الله: ننتظر أمرك سيدي.

النقيب:إذن قولوا ياالله واتخذا موقعيكما.

ملازم غضنفر:ياالله

ملازم عبدالله:ياالله

يتجه الملازمان الى موقعيهما، أحدهما في بداية الطرف المحاذي للجمهور والآخر من الطرف القصي الى عمق المسرح، وأمّا زهير فيتوسط المقاتلين ويهتف:

- أيها الأبطال مستعدون؟
- المقاتلون: مستعدون سيدي

- أشبال الكرار
- نعم سيدي
- هل اكتفيتم ؟
- كلا وألف كلا
- متى تكتفون ؟
- عندما يبيدهم بأسنا عن آخرهم
- ماهتاف المواجهة؟
- لبيك ياحسين
- ماصيحة النصر؟
- لبيك يازهراء

ينظر النقيب الى السماء ويتهدج بكلمات لمدة دقيقة كاملة ويأخذ الجميع يتهدج مثله، وبعدها يهتف بصوت صاخب:

النقيب: هيا بنا أيها الملبّون

ينطلقون في هجومهم .

ستار

الفصل الثالث

تمضي الأيام بطيئة في غرفة الحاج علوان السرية حيث يختبئ الهاربون من جحيم مذبحة سبايكر وهم لا يعرفون مصيرهم وهل سينجون ام يلحقون برفاقهم الذين تناثرت جثثهم في النهر، في ذات الغرفة نهارا، الثلاثة بدَوَا متخذين جلسات مختلفة.

قيس إلى سالم: أحسبُ أنّ حظّكَ هو الذي نجّاك من رصاصهم.

عماد: خوفه والجثث هما مَن نجّياه..

قيس : وكيف ذاك؟

عماد:الخوف جعله يفقد ثقله وتوازنه ويرمي به إلى قعر الوادي، والجثث المتراكمة فوقه آثرت زخّات الرصاص دونه، وجعلته في مأمن منها

سالم: بل هو الحلم.

يدخل اليهم الحاج علوان بصينية الطعام ويهتف لحفيدته التي أزالت اللوح

الحاج: حسنا اغلقي يابنتي.

ينهض قيس ويتسلّمَ الصينية من الحاج ويضعها بينهم، الثلاثة يأكلون والحاج يتخذ جلسته قربهم.

الحاج: سمعتكم تتحدثون وأنا عند باب الكنتور، وسرّني حقيقة هذا الامر، فالتحدّثُ يا أولادي يُعلّمنا بأنّا أحياء على عكس الصمت، لا أود ان أكون فضوليا لكن ما قصة الحلم وكيف حفظ سالم من الرصاص؟

عماد : أمُّه حلمت بأنه وأخاه سيعيشان طويلا ويدركان ساعة وفاتها.

سالم: حين حزمت اغراضي للذهاب الى المعسكر، أوقفتني امي عند باب المنزل وبيدها «طاسة» ماء تتهيأ لرشها خلفي حالما اغادر وهي تعويذة جنوبية يزعم أهلنا انها من اجل العودة الى البيت، وحين قبلْتُ يدها واردت توديعها قالت لي ستعود حتما إليَّ يا ولدي فقد «جاءتني الزهرة بنت النبي بالطيف وأخبرتني أنّ ولديكِ سيعيشان طويلا ويدركان وفاتكِ»، ومن يومها مهما حصل لي أتذكر حلم امي وتسكن روحي واعرف اني عائد الى بيتي مهما حصل.

الحاج: ولِمَ العجب .. أذكر أنّ أمي أخبرتني أنّ والدي «البخيت» قال لها عندما قَرُبَ طلقها بي، قال لها إنّه حلمَ بأنّي سأولد حيّاً وسأعيش طويلا، وكانت حينها متّصلة ببكائها النهاري والليلي وخوفِها القاهر مِن أنْ تَفقدَني في أثناء الولادة كما فقدت إخوتي الخمسة الذين سبقوني في ولاداتها الخمس السابقة!

سالم: مات أشقاؤك الخمس في أثناء ولاداتهم الخمس؟

(يحرك الحاج رأسه ويستأنف): ولم يُغيّر ماقاله لها شيئاً من حزنِها وخوفها مِن القادم معَ ساعةِ الولادة، بل زاد مِن ضراوتهما وافتراسهما لها، ذلك أنّها حَسِبته وَلَجَ مرحلةَ الأوهامِ والسراب الناتجة عن استغاثات صدرِهِ التي لايُجيد الجهرَ بها كما تفعلُ هي عبر دموعِها وعويلِها، فهو من النوع الذي لايَعرف إلا أن يكون صُلباً مُتّفقاً مع ما يجلبه له قدره (يصمتَ الحاج ويمسح بطرف كوفيته دمعة من عينه)

قيس: وماالذي حصل بعدها؟

الحاج:الذي حصل بعدها جاء المولود علوان سالما وجاء بعده حلم مبشّر آخر، هل يعجبكم طرق بابه؟

عماد: بالطبع يعجبنا ..أخبرنا ياحاج، ما موضوع الحلم الآخر؟

الحاج: اعلموا قبل ذلك أنّ مشاركتي لكم في الحديث ضرورية جدا لكم وذلك لأنّها تساعدكم -إذا مااجتهدتم في ذلك- في التحدث باللهجة الغربية، ذلك أن معظم مَن يُعتقلون في السيطرات إنّما يُقبض عليهم ويقتلون بسبب لهجتهم المختلفة. هل تبيّنَ مقصدي!.. (يجيبه الثلاثة بنظرات موافقة ويستأنف هو) :

الحاج:على أية حال أعود لذكر ماجرى بعد ولادتي .. بعد اكتمال حَوْلي بالتمام والكمال، جاء والدي «البخيت» لأمي وأخبرها أنه حَلَمَ بمجيء شقيق لي، ولن تأخذه المنون مثلما فعلت مع أخوتي الخمسة. فسُرّتْ أمّي أيَّما سرورٍ وضَحِكتْ ابتهاجا كما المجانين وكأنها رُزِقت بالمولود فعلا.

إنّ استجابتها غير المتفاعلة مع الحلم الخاص بي قد تحوّلت تحوّلاً عكسياً كاملاً مع الحلم المبشّر الثاني إلى درجةِ أنّها أطلقت اسم (عباس) على الصبي الذي لم تنعقد نطفته بعدُ، وصارت

تستذكره وتلاطفه وتداعبه كما لو أنه في حجرها وبين يديها..

قيس بوجه مستعلم مطمئن:

قيس: لابّد أنه سائق التكسي الذي عرّض نفسه للموت في سبيل تخليصي من سيطرات داعش وإيصالي إلى هنا.

يحرك الحاج راسه بملامح مطمئنة.

الحاج:وهكذا صار لأبي علوان وأمّ علوان ابنان يملآن عليهم دارهما بالسعادة.. وشبّ علوان وتطوّع في الجيش ليصبح نائبَ ضابطٍ، ويقضي خمسة وعشرين عاماً في وحدة الميدان الطبية.

عماد: وحدة الميدان الطبية! (بنظرة حكيم) ما أعظم الأسباب حينما تحسم خياراتها! وماأجلّ الصدف حينما تُظهر قدراتها ! فلولا خبرتك الطبية هذه لما قُيّضَت ليَ النجاة من إصابتي!

وتعمّ المشهد لحظات صمت يخترقها قيس بسؤاله للحاج:

قيس: هل الفتاة حفيدتك ؟

الحاج: عدوية، نعم حفيدتي..لم أرزق بغير أبيها الذي

غيّبه الدواعش عني بتهمة التطوع في الجيش.. وقد توفيت أمّها المسكينة بعد مقتل زوجها بعام أو دون العام .

يهزّ الجميعَ صوتُ تفجير قريب

سالم : تُرى مامصدره؟

الحاج: لا يبعد أنها عملية إعدام المختار.

عماد: اعدام المختار.

الحاج:أخبرني جاري أبو دحام أنهم قبضوا على المختار ويعزمون إعدامه هو وابنه البِكر- بطريقة التفجير بعبوة ناسفة- في ساحة القرية وأمام الأعين، ليكون عبرة لمن يَعتبر، وذلك لأنهم اكتشفوا مخابراته ورسائله مع قيادات الجيش والحشد.

قيس : وابنه! هل أدين بذات الإدانة؟

الحاج: كلا، قال أبو دحام إنه أُدين لأنّه كان على علم بخيانة أبيه، ومع ذلك لم يردعه وأيضا لم يبلغ عنه.

يتأكد الحاج انهم قد أتمّوا وجبة طعامهم فينهض وينهض

سالم ويناوشه الصينية، يخطو بها الحاج الى لوح الخروج ويهتف في اثناء ذلك إليهم.

الحاج: ضروري جدا أن تتحدثوا بطريقتي، اعتبروه تدريبا قد نحتاج ثمرته في أيّ ساعة قد أُهَرِّبُكُم فيها.

يعود الثلاثة إلى تبادل أطراف الحديث دون أن يُسمَعَ كلامهم، وفي اثناء ماهم فيه تناهى إلى مسامعهم مِن خلال فتحة الحمّام المموهة بالقماشة الشبكية، شيء من أصوات غريبة عرفوا بعد حين أنها أصوات الدواعش وكان أحد الأصوات يقول.

صوت١: منزل هذا الخائن هو الأنسب لنا..

يجيبه صوت آخر:

صوت٢:حقا، إنه حصن جدير بالثناء.

سيطرت على عيون الثلاثة نظرات فزع وهلع.

قيس: إنهم هنا، في الدار.

عماد: أعجبهم موقعه وبناؤه.

سالم: المقلق في الأمر أنهم نعتوا الحاج.

علوان بالخائن، وهذا يعني أنّهم ربّما كشفوا أمره، وربّما أمرنا.

قيس: لو كشفوا أمرنا لاقتحموا سردابنا، هذا وقتلونا، وماكانوا لينتظروا.

عماد: إذن سيجبرونه على الاعتراف، سيكشف أمرنا..

سالم: أتراه يعترف لهم؟

يتسمر الثلاثة في منظر مقفل بالفزع، تتوافد عليهم أصوات عيارات نارية مختلفة الأجناس والأنواع، تتعالى معها الأصوات البشرية، يأخذ الثلاثة في أثناء ذلك ينظرون في السقف متوجسين محرّكين شفاههم بين مناجٍ ربّه ومتوسل بهِ لنجاتهم، ومرتّلٍ آياتٍ عن الصبر والرحمة، ومردّدٍ لتلك الكلمات المواسية بالطريقة الريفية الجنوبية: «جاءتني الزهرة بنت النبي بالطيف وأخبرتني أنّ ولديك سيدركان وفاتك وسيعيشان طويلا».. (وفي أثناء ذلك يحصل تعتيم للمشهد بالظلام ثم ينكشف بالضوء ليدلّ على

مرور ساعات الليل والنهار على ماهم فيه) ويبدو الثلاثة مفترسين بسطوة الجوع، ومازالوا بين مناجٍ ومرتل ومردد كلمات الحلم، ثم يخيم سكون وصمت لدقائق معدودات ثم تتعالى أصوات الرمي والقصف ثم يخيم سكون وصمت والثلاثة يتبادلون النظرات المستفهمة..ثم يسمعون صياحاً قرب فتحة التهوية، يتنصتون.. يسمعون أحد الدواعش يصيح مرعدا على الحاج علوان:

صوت ١: المعلومات التي وردتنا بخصوصك لا تقبل التفنيد أو التأويل، كلّها تؤكد أنك تؤوي الخونة والمرتدين.. قُلْ لنا أين تؤويهم، وإلا جعلنا جبهتك مرمى لرصاصنا.. قل الحاج لا ينبس بكلمة أو حرف، فيصيح أحد الداوعش بصوت غليظ

صوت ٢: أأنت مصرٌّ على الصمت.

كما تشاء... خذ هذه جزاء خيانتك.

يرشقوه ببنادقهم رشقات متواصلة، وتناهت صيحة نهايته الى آذان الثلاثة، يحتمون ببعضهم وهم يختنقون بعبرتهم ..

يعلو صياح الدواعش، طلقات النيرات ترتفع وتزداد

كثافته، صراخ الدواعش يعلو اكثر، ضجة كبيرة تحدث خارج البيت، والثلاثة لا يدركون ما يجري، ترتفع صيحات الدواعش وينادون على بعضهم بالقتال والصبر، يقترب صوت الرصاص ومعه أصوات تضج بالحماس والاناشيد، تسقط قنابر الهاون على مقربة من البيت، يشعر الثلاثة ان نهايتهم باتت قريبة، ثَمَّةَ معركة شرسة تدور خلف باب غرفتهم لكنهم لا يعرفون ما يحدث تحديدا، يصاب الدواعش بالذعر، تبدو أصواتهم مرعوبة، يصبح صوت الرصاص اقرب والاناشيد أوضح، فجأة تسقط قذيفة على البيت، ترتج غرفة الثلاثة، الأناشيد تعلو وتقترب اكثر، يخفت صوت الدواعش، بينما يتجمهر الثلاثة خلف الباب يتنصتون، تأتيهم طرقات من لوح الكنتور، يصاب الثلاثة بقشعريرة سرور ووجوم يخالطها هلع عظيم.

سالم: إنها عدوية.

عماد: ربما،هم.

قيس: أيًا يكن ..لا خيار أمامنا.. سأخرج لأرى وليكن مايكون.. (بوجه مصفرّ وشاحب كأنه ذاهب إلى الموت) أشهد

ألا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله، وأشهدُ أنّ علياً ولي والله.

يسبقه عماد مسرعا إلى جهة الكنتور.

عماد: بل دعني أخرج أنا..فقد ضقتُ بكلّ مايجري ..آنَ ليَ الانتفاض، سأخرج وأعيد اللوح إلى موضعه خلفي، انتظروا عودتي..

يحول سالم بينهما والفتحة وهو يبتسم ووجه تطغى عليه علامات السكينة.

سالم: بل أنا الذي سيخرج، أنسيتما أنّني محفوظ بحلمِ أمّي..

قيس وهو يخطو إلى اللوح: كلا، أنا ..

يصيح عماد وهو يجر قيس بيديه: بل أنا ..

سالم: حُسم الأمر، أنا من سيخرج..

يخطو سالم بأقدام ثابتة الى اللوح حتى يقفَ عنده فيتلو كلمات أمهِ بطريقة خاطفة، «جاءتني الزهرة بنت النبي بالطيف

وأخبرتني أنّ ولديكِ سيعيشان طويلا ويدركان وفاتكِ» ينزع اللوح من مكانه فيجد امامه مجموعة من رجال الحشد والجيش كان آخرهم أخوه الأصغر عمار، يتوقف أمام سالم في مشهد تأمّل مؤثّر، ثم يتعانقان عناقا حارا ويدخل النقيب فينظر إليهما مغرورق العينين.

النقيب: صدق حلمكِ ياأمَّ سالم ..

من رآهم –صلوات الله عليهم– فقد رآهم.

يخرج الجميع ماعدا النقيب الذي يطيل النظر الى السماء كأنه يشكر الله ..تعلو انشودة حماسية عن فتوى الدفاع الكفائي ..

–انتهت–

المحتويات

العائد..... ٧
مسرحية ٧
علي محمد سعيد ٧
مفتتح ٣
الفصل الأول ٧
المشهد الثاني ٣٥
الفصل الثاني..... ٦٣
الفصل الثالث ٨٩
المحتويات ١٠٣